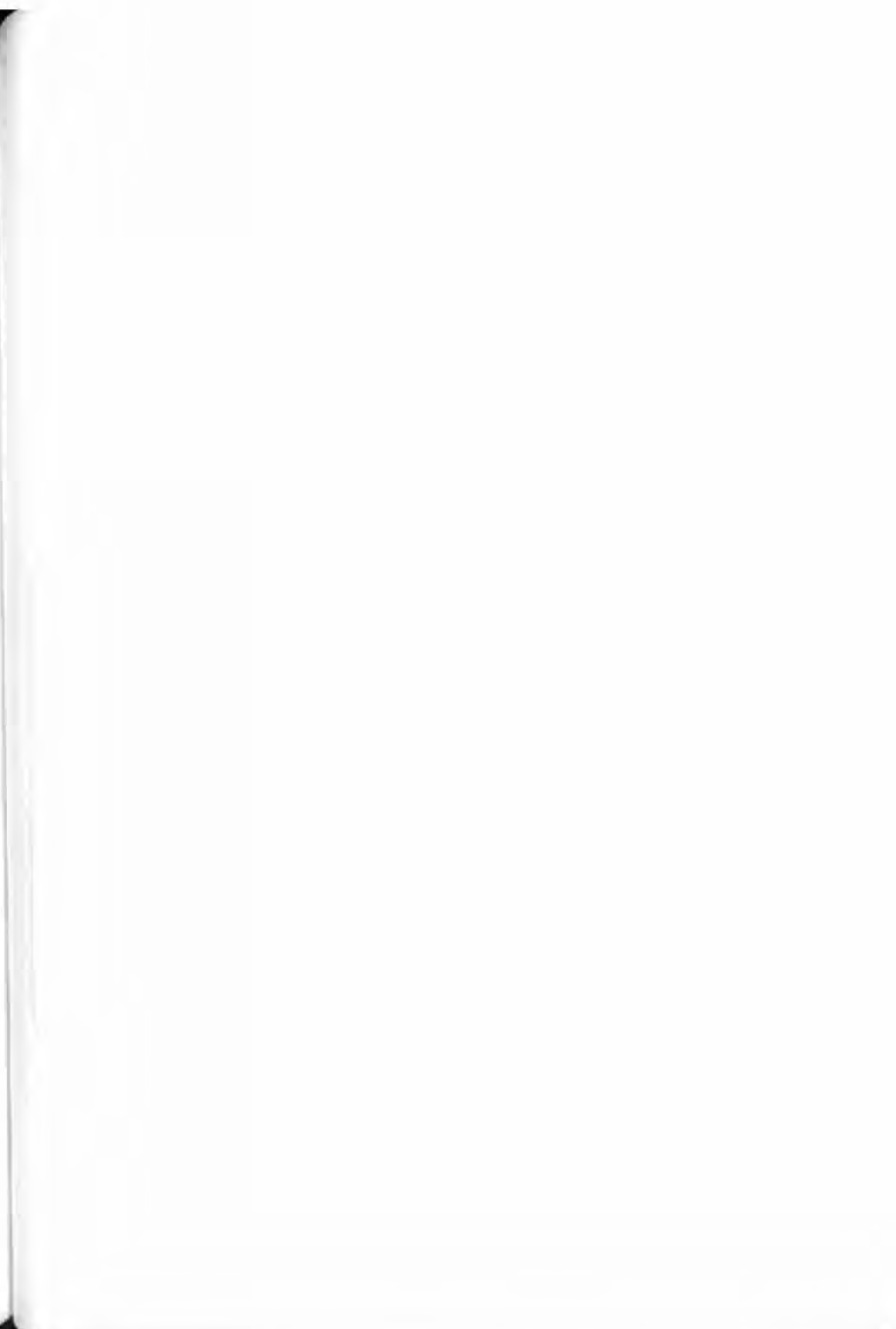
انتقاد بعض كُتّاب دائرة المعارف الإسلامية لشيخ الإسلام ابن تيمية (عرض ونقض)

د. خالد بن عبد الله القاسم
قسم الثقافة الإسلامية ـ كلية التربية
جامعة الملك سعود

ملخص البحث :

تعد «دائرة المعارف الإسلامية» أهم مؤلف استشراقي على الإطلاق، وهذا يرجع لأسباب متعددة منها: العدد الكبير من كبار المستشرقين المساهمين فيها، وكبر حجمها، وتنوع المعارف فيها، واستمرارية إخراجها، وتعدد لغاتها حيث خرجت بالإنجليزية والفرنسية والألمانية، وترجمت إلى العربية والأردية والتركية وغير ذلك، وتعد بحق خلاصة الفكر الاستشراقي . وقد احتوت الدائرة على تشويه سيرة النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وعلماء الإسلام والمسلمين، لا سيما أهل السنة والجماعة، وكافة الدعوات السلفية الإصلاحية، وممن تعرض للطعن شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ . وقد جاء ذكر ابن تيمية في عدة مواضع مشوهاً ، وقد ألصقت به عدة اتهامات كاتهامه بالتجسيد والتشبية في صفات الله تعالى، واتهامه بإنكار الإجماع والخروج عليه، واتهامه بالتشدد، واتهامه بالهوى، واتهامه بالسقوط، واتهامه بالطعن في رجال الإسلام. وهذه التهم ليست جديدة وإنما استقاها المستشرقون من خصوم ابن تيمية، وهي ترداد لها، وقد تصدى لها كثير من العلماء والفقهاء بالدحض والتفنيد. وقد جاء هذا البحث لتفنيد هذه المزاعم ودحض هذ الاتهامات وكشف زيفها .



أولا : تعريف بدائرة المعارف الإسلامية :

تعد «دائرة المعارف الإسلامية» أهم مؤلف استشراقي على الإطلاق وهذا يرجع لأسباب متعددة منها : العدد الكبير من كبار المستشرقين المساهمين فيها ، وكبر حجمها ، وتنوع المعارف فيها ، واستمرارية إخراجها ، وتعدد لغاتها حيث خرجت بالإنجليزية والفرنسية والألمانية ، وترجمت إلى العربية والأردية والتركية وغير ذلك ، وتعد بحق خلاصة الفكر الاستشراقي ، لذا لا يستغني عنها أي باحث في علم الاستشراق.

وقد شعر المستشرقون في مؤتمراتهم الدولية بالحاجة إلى دائرة معارف لأعلام العرب والإسلام لكي تجمع شتات دراساتهم عنهم باللغات الثلاث : الألمانية والفرنسية والإنجليزية ، فدعوا إليها في سنة (١٨٩٥) ، وكلفوا هوتسما[1] بإنشائها

(١) هوتسما M.Th.Houtsma (١٨٥١ –١٩٤٣م) : مستشرق هولندي تخرج باللغات العربية والفارسية والتركية في جامعة أوترخت ، وعلمها فيها ، وفي (١٨٧٥) حصل على الدكتوراه من ليدن على رسالته : «النزاع حول العقيدة في الإسلام» ، ثم درّس فيها سنين طويلة حتى اعتزل التدريس (١٩٠٧) إلى التأليف ، وانتُخب عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق وفي مجامع عدة.

وهو من أوائل من اضطلعوا بإنشاء دائرة المعارف الإسلامية ، واضطلع بالإشراف عليها (١٩١٣ - ١٩٢٤).

من آثاره : «العقيدة الإسلامية والأشعري» ، كما نشر العديد من الكتب العربية فقد أسهم في نشر تاريخ الطبري ، ونشر مقصورة ابن دريد والأضداد لابن الأنباري ، ووضع فهارس للكتب والمخطوطات الشرقية والعربية في عدة مكتبات ، كما كتب عن تاريخ السلاجقة.

حرر في الطبعة الأولى من الدائرة ست مواد عن السلاجقة والقاديانية.

انظر :

- الأعلام قاموس وتراجم ، خير الدين الزركلي ٥/٢٥٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة السادسة ، ١٩٨٤م.
- المستشرقون ، نجيب العقيقي ٢/٣١٥ ، دار المعارف ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، دت.

ومطبعة ليدن بإصدارها، واستعين بالمجامع ومؤسسات نشر العلم في أوروبا قاطبة للإنفاق عليها، فأمدتها بالمال.

بدأ تأليفها سنة (١٩٠٦)، ومن أوائل من بادر بها هوتسما، وحرر الدراسات المتعلقة بالخلافة العثمانية وفارس والهند والهولندية، ثم حل محله فيما بعد فنسنك[1] عام (١٩٢٤).

- موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي ٤٢٨ - ٤٢٩، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م.

(١) فنسنك A.J.Wensinck (١٨٨٢ - ١٩٣٩م): هو أرند جان فنسنك مستشرق هولندي من أشهر المستشرقين وأكثرهم إنتاجاً، تعلم اللغة العربية، وأصبح أستاذاً في جامعة ليدن من سنة (١٩٢٧) إلى وفاته، تخصص في الحديث النبوي، وألف معجماً للحديث النبوي من أربعة عشر كتاباً من السنن والسير، ونقله إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقي وسماه: «مفتاح كنوز السنة»، وقد أمضى مؤلفه في تأليفه وترتيبه عشر سنين، كما أمضى مترجمه أربع سنوات في ترجمته وتصحيح أخطائه.

كما وضع بمساعدة غيره «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي» من تسعة مصادر وهي الكتب الستة وموطأ مالك ومسند أحمد ومسند الدارمي، ويتألف من سبعة مجلدات ضخمة، وقد توفي قبل إتمامه.

قام برحلات إلى مصر وسوريا ولبنان وبلاد العرب (١٩٣٠).

ومن آثاره الأخرى: كتاب «موقف الرسول من يهود المدينة» وهي رسالته للدكتوراه، و«عقيدة الإسلام» و«محمد والنبوة»، و«العقيدة الإسلامية نشأتها وتطورها التاريخي».

ومن مقالاته: «الأثر اليهودي في أصل الشعائر الإسلامية».

وهو من أكثر المستشرقين كتابة في الدائرة، وقد تولى رئاسة تحرير الطبعة الأولى منها سنة (١٩٢٥) بلغاتها الثلاث. حرر في الدائرة ٧٥ مادة متنوعة في كلتا الطبعتين، حيث حاول التشكيك في الوحي، وادعى استقاء النبي ﷺ من اليهود والنصارى الشيء الكثير، ومن ذلك قصة إبليس، وزعم أن النبي ﷺ التبس عليه بعض ما نقله فأخطأ فيه، ومن ذلك آزر ظن أنه أبو إبراهيم - عليه السلام - بينما هو خادمه، وزعم أن النبي ﷺ ظن أن الصور المسيحية للملائكة حور وولدان، كما كتب في مادة السنة بتخبط، وذم أنس بن مالك - رضي الله عنه - في جهاده وروايته، وطعن في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

الترجمات العربية للدائرة:

١ - الترجمة الأولى: خرجت في سنة (١٩٣٣م) في خمسة عشر مجلداً، كل مجلد يقارب خمسمائة صفحة اشتملت على مواد من حرف الألف حتى أجزاء من حرف العين، وبالتحديد انتهت بمادة «عارفي باشا»(١)، وطبعتها دار الفكر بالقاهرة.

٢ - الترجمة الثانية وقد خرجت في سنة (١٩٦٩م) في ستة عشر مجلداً كل مجلد يقارب ستمائة صفحة، واشتملت من حرف الألف حتى أجزاء من حرف الخاء، وانتهت بمادة «خدا بخش»(٢) وهي مشتملة على ما وجد من الدائرة الأصل، ورمزوا للمواد المضافة بالرمز (+).

وقد بلغ عدد كتاب الدائرة في كلتا الطبعتين (٤٨٦) كاتباً، حرروا (٣٩٣٠) مادة(٣).

٣- طبعة مترجمة كاملة بتمويل من إمارة الشارقة في ٣٣ مجلداً منها مجلد فهارس، احتوت على الطبعتين الأولى والثانية بهوامشها، وترجم الجزء المتبقي من حرف العين حتى النهاية وهمش على الزيادة هوامش مفيدة لأساتذة مصريين

انظر:

- الأعلام للزركلي ١/٢٨٩.
- المستشرقون للعقيقي ٢/٣١٩ - ٣٢٠.
- مفتاح كنوز السنة، ارند جان فنسنك، المقدمة التعريفية للكتاب بقلم مترجمه محمد فؤاد عبدالباقي.
- موسوعة المستشرقين لبدوي ٢٨٩ - ٢٩٠..

(١) رجل دولة تركي توفي سنة ١٣١٣ هـ.

(٢) قانوني هندي محب للكتب وجمعها. توفي سنة ١٩٠٨ م.

(٣) هذا العدد مع المواد التي أعاد كتاباتها في الطبعة الثانية مستشرقون آخرون، ويبلغ عددها قرابة ألف مادة.

وبلغت الزيادة عشر مجلدات، وبلغ مجموع الصفحات (١٠٢٤٠) صفحة في أكثر من (٥٠٠٠) مادة لأكثر من ٥٠٠ كاتب[١].

وقد احتوت الدائرة على تشويه سيرة النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وعلماء الإسلام والمسلمين لا سيما أهل السنة والجماعة، وكافة الدعوات السلفية الإصلاحية وممن تعرض للطعن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله- .

وسأتناول في هذا البحث مزاعمهم تجاه ابن تيمية - رحمه الله- ومناقشتهم في تلك المزاعم.

* * *

(١) عند النقل من الدائرة يشار للطبعة الأولى والثالثة وما سكت عنه فهو الطبعة الثانية، وبعد الجزء والصفحة يأتي اسم المادة واسم الكاتب.

ثانياً: نظرة عامة لما في الدائرة:

جاء في الدائرة ذكر ابن تيمية في مواضع عديدة، وذكر كاتب مادته محمد بن أبي شنب[1] بعض الحقائق كقوله عنه: (ولقد دافع عن سنن السلف الصالح من المسلمين بأدلة لم يسبق إليها)[2].

كما قال: (إن الحجج التي جاء بها لم تلبث أن جردت خصومه من أسلحتهم)[3].

كما قال: (وكان ابن تيمية من الحنابلة إلا أنه لم يتبع تعاليم هذا المذهب من دون تبصر أو رؤية)[4].

كما جاء: (وكان ابن تيمية عدواً لدوداً للبدع)[5].

كما جاء أيضاً في نهاية ترجمته: (ابن تيمية ذلك المتكلم الحنبلي العظيم)[6].

إلا أن الأكثر من سيرته في الدائرة قد تم تشويهه، وقد صنفت تلك الاتهامات على النحو الآتي:

- اتهامه بالتجسيد والتشبيه في صفات الله تعالى.

---

(١) محمد بن العربي بن محمد أبي شنب، ١٢٨٦- ١٣٤٧هـ، عالم بالأدب، وكان أستاذ العربية في كلية الجزائر، تركي الأصل، عربي المنبت واللسان، ولد بالجزائر، وشغف باللغات، كان عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق، له كتب في الأدب باللغة العربية والفرنسية، منها: (تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب) وكانت له مكانة عالية عند المستشرقين. (انظر: الأعلام، ٦/٢٦٦).

(٢) الدائرة ١/٢٣٢، ابن تيمية، محمد بن أبي شنب.

(٣) الدائرة ١/٢٣٢، ابن تيمية، محمد بن أبي شنب.

(٤) الدائرة ١/٢٣٣، ابن تيمية، محمد بن أبي شنب.

(٥) الدائرة ١/٢٣٣، ابن تيمية، محمد بن أبي شنب.

(٦) الدائرة ١/٢٣٤، ابن تيمية، محمد بن أبي شنب.

- اتهامه بإنكار الإجماع، والخروج عليه.
- اتهامه بالتشدد.
- اتهامه بالهوى.
- اتهامه بالسقوط.
- اتهامه بالطعن في رجال الإسلام.

هذه التهم ليست جديدة وإنما استقاها المستشرقون من خصوم ابن تيمية، وهي ترداد لها، وقد تصدى لها كثير من العلماء والفقهاء بالدحض والتفنيد، منهم:

البزار[1] في كتابه الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، وابن ناصر الدين الدمشقي[2] في كتابه: الرد الوافر، والكرمي[3] في كتابه: الشهادة الزكية في ثناء العلماء على ابن تيمية، وغيرهم من العلماء.

وسأبدأ هذا البحث بترجمة مختصرة لابن تيمية وثناء علماء الأمة المعاصرين له ممن اشتهروا بالإنصاف، ومن بعدهم، وهو بمثابة رد إجمالي على كافة المطاعن.

ثالثاً: سيرته وثناء الأمة عليه:

هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية ولد في حران سنة (٦٦١هـ) وهاجر به أبوه إلى الشام خوفاً من جور التتار، وعاش في بيت علم ودين، فأبوه

(١) الحافظ الفقيه المؤرخ عمر بن علي البزار ٦٨٨ - ٧٤٩هـ. (انظر: الرد الوافر على من زعم أن ابن تيمية كافر، محمد بن ناصر الدين الدمشقي الشافعي، ١١٧، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

(٢) الحافظ محمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي ٧٧٧ - ٨٤٢ حافظ دمشق ومحدثها، الإمام العلامة والمؤرخ الثقة. (انظر مقدمة الرد الوافر ١٩).

(٣) مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي مؤرخ أديب من كبار الفقهاء توفي سنة ١٠٣٣هـ. (انظر الأعلام للزركلي ٢٠٣/٧).

من كبار علماء الحنابلة، وجده من كبار علماء الحديث، وهو صاحب كتاب منتقى الأخبار في أحاديث الأحكام.

حفظ القرآن صغيراً ونشأ في طاعة وصيانة وعفاف وتعبد.

أخذ الفقه والأصول عن والده، وقرأ الحديث على علماء دمشق، فسمع الكتب الستة والموطأ والمسند، وله أكثر من مائتي شيخ.

كما تعلم اللغة والتفسير والفقه وأحكم كل ذلك وهو لم يتعد التاسعة عشرة، أمده الله بكثرة الكتْب، وسرعة الحفظ، وقوة الإدراك والفهم، وبطء النسيان؛ فانبهر أهل دمشق بفرط ذكائه وقوة حافظته، وكان يحضر المحافل والمناظرات في صغره، فيفحم الكبار، فاشتهر أمره، وذاع صيته.

جلس للإفتاء وله تسع عشرة سنة، وجلس لتفسير القرآن من حفظه وله إحدى وعشرون سنة فكان جهوري الصوت فصيح اللسان لا يتلعثم، هدى الله بدرسه الكثير.

كان ذو خبرة تامة بالرجال، وجرحهم وتعديلهم، وطبقاتهم، ومعرفة بفنون الحديث عاليه ونازله، صحيحه وسقيمه، مع حفظه المتون التي تفرد بها.

كان لا يمل من القراءة والاطلاع والكتابة، يكتب في اليوم والليلة نحواً من أربعة كراريس أو أزيد، وقد كتب رسالته (الحموية) في قعدة واحدة، وكان مشتغلاً بمعالي الأمور، والاجتهاد في سبيل الخير، حتى انتهت إليه الإمامة في الزهد والورع والعلم والشجاعة والكرم.

له المواقف المشهورة في جهاد الكفار بالسيف والقلم، فجاهد التتار عند قدومهم دمشق، وشجع الناس على قتالهم.

وله المصنفات الكثيرة في أصول الدين وفروعه، وكان جريئاً على المبتدعة والمخالفين مبيناً الحق متبعاً للسلف الصالح، كما كان جريئاً في الاجتهاد في اتباع الكتاب والسنة، ولو خالف غيره، ثابت لا يداهن ولا يحابي، بل يقول الحق الذي أدى إليه اجتهاده؛ فأكسبه كل ذلك أعداء وحساداً فسعوا في الوشاية به فدخل السجن مراراً حتى مات فيه سنة (٧٢٨هـ).

كانت جنازته مشهودة بينت محبة الناس له، وقد وُصفت بأن دمشق لم تشهد مثلها، بل ولا سائر الأقطار في ذلك الزمان[١].

وإذا تدبرنا في تكلُّم بعض الناس في ابن تيمية نجد أن من انتقصه كان خصماً له لم يتحمل آراءه، أو عن جهل به، أو تقليد لغيره، أو حسداً له.

بينما نجد الثناء على ابن تيمية والتزكية له من الجمع الغفير من العلماء الذين عاصروه ورأوه، وشُهِد لهم بالعلم وحسن المقصد.

وقد جمع ابن ناصر الدين صاحب الرد الوافر شهادة سبعة وثمانين عالماً من علماء قرنه على تزكية ابن تيمية[٢].

كما جمع الكرمي ثناء علماء الأمة عليه من معاصريه ومن بعدهم بعبارات كثيرة ومدح جم، وفي تلك التزكيات رد إجمالي على تلك المطاعن، ففيها سعة

---

(١) ترجمته مأخوذة من كتاب العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، محمد بن أحمد بن عبد الهادي، مطبعة المدني بالقاهرة، دطت، والبداية والنهاية لابن كثير ١٤/٢٣، ١٣٧، وكتاب الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب، ١٤/٣٨٦- ٤٠٦، دار المعرفة، بيروت، دطت، وذيول العبر في خبر من غبر، للذهبي، ٤/٨٤، حققه وضبطه أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي، ٩/ ٢٧١- ٢٧٢، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، دطت.

(٢) الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي الشافعي ٥٧ - ٢٢٢.

علمه، واستقامة منهجه، وتسامحه، وبعده عن الهوى والتعصب[1].

ولا يتسع المقام لذكر ثناء العلماء على ابن تيمية، وإنما سأكتفي بذكر نماذج منها:

١ - ابن دقيق العيد[2]، حيث قال: «لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلاً العلومُ كلها بين عينيه»[3].

٢ - ابن الزملكاني[4]، حيث كتب على كتاب رفع الملام لابن تيمية: «تأليف الشيخ الإمام العلامة الأوحد الحافظ المجتهد الزاهد العابد القدوة إمام الأئمة قدوة الأمة...»[5].

٣ - ابن سيد الناس[6]، حيث قال عنه: «برز في كل فن على أبناء جنسه، ولم تر عين من رآه مثله» ثم تحدث باستفاضة عن تحامل خصومه عليه بالباطل، وعلوه عليهم[7].

---

(١) الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية، مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي ٢٦ - ٥٤، تحقيق وتعليق نجم عبد الرحمن خلف، دار الفرقان، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

(٢) محمد بن علي المنفلوطي المالكي الشافعي كان إماماً حافظاً فقيهاً انتهت إليه رئاسة العلم في زمانه توفي ٧٠٢هـ. (انظر البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير الدمشقي، ١٤/٢٧، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.) وانظر: (الرد الوافر لابن ناصر الدين، ص٥٨).

(٣) الشهادة الزكية ٢٩.

(٤) محمد بن أبي الحسن الأنصاري الشافعي، من علماء الفقه والنحو تولى القضاء وانتهت إليه رئاسة المذهب الشافعي في وقته، كان سريع الإدراك يتوقد ذكاءً، تولى مناظرة ابن تيمية أكثر من مرة ت ٧٢٧هـ.

(انظر البداية والنهاية ١٤/١٣١، والرد الوافر لابن ناصر الدين، ٥٦).

(٥) الشهادة الزكية للكرمي ٢٦.

(٦) أبو بكر بن سيد الناس الإشبيلي المصري الشافعي ٦٧١ - ٧٣٤هـ، كان حافظاً أديباً فقيهاً. انظر: (الرد الوافر ٢٦).

(٧) الشهادة الزكية للكرمي ٢٧.

٤ - البرزالي[١]، حيث قال عنه: «كان إماماً لا يُلحق غباره في كل شيء، عالماً باختلاف العلماء، عالماً بالأصول والفروع، والنحو واللغة، وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية، وما قُطع في مجلس مناظرة، ولا تكلم معه فاضل في فن من فنون العلم إلا ظن أن ذلك الفن فنه، ورآه عارفاً به، مُتقناً له»[٢].

٥ - المزي[٣]، حيث قال: «ابن تيمية لم يُر مثله من أربعمائة سنة»[٤].

٦ - ابن عبد الهادي[٥]، حيث صنف كتاباً سماه مناقب ابن تيمية، ومما قال عنه: «كان رحمه الله سيفاً مسلولاً على المخالفين، وشجاً في حلوق أهل الأهواء من المبتدعين، وإماماً قائماً ببيان الحق، ونصرة الدين»[٦].

٧ - أبو حيان النحوي[٧]، حيث قال لما اجتمع به أول مرة وناظره في العلم والنحو: «ما رأت عيناي مثله - ثم قال بديهة في المجلس - :

---

(١) القاسم بن محمد البرزالي الشافعي ٦٦٥ - ٧٣٨هـ، مؤرخ الشام، له الخبرة بأسماء الرجال، وكان أصحابه من كل الطوائف يحبونه ويكرمونه. (انظر البداية والنهاية ١٤/١٨٥، والرد الوافر لابن ناصر الدين١١٩).

(٢) الشهادة الزكية للكرمي ٤٩.

(٣) يوسف القضاعي الكلبي ٦٥٤ - ٧٤٢هـ حافظ الإسلام أستاذ أئمة الجرح والتعديل. (الرد الوافر لابن ناصر الدين١٢٨).

(٤) الشهادة الزكية للكرمي ٤٥.

(٥) محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحافظ الناقد، عمدة المحدثين ت ٧٤٤هـ.

(٦) الشهادة الزكية للكرمي ٥٣، وانظر: الرد الوافر لابن ناصر الدين٢٩.

(٧) محمد بن يوسف الغرناطي أستاذ النحاة والأدباء ت ٧٤٥هـ. الرد الوافر ٦٢.

لما أتينا تقي الدين لاح لنا داع إلى الله فرد ما له وزر
على محياه من سيما الألى صحبوا خير البرية نور، دونه القمر
قام ابن تيمية في نصر شرعتنا مقام سيد تيم؛ إذ عصت مضر
كُنَّا نُحدث عن حبر يجيء فها أنت الإمام الذي قد كان يُنتظر[1]

٨ - الذهبي[2]، حيث أطنب في مدحه وبين أسباب خلاف بعض العلماء له، ومما قال عنه: «كان من بحور العلم، ومن الأذكياء المعدودين، والزهاد الأفراد والشجعان الكبار، والكرماء الأجواد، أثنى عليه الموافق والمخالف، وسارت بتصانيفه الركبان لعلها ثلاثمائة مجلد»[3].

وقال أيضاً: «مفتي الفرق، قدوة الأمة، أعجوبة الزمان، وهو عجب في استحضار واستخراج الحجج من الحديث، وإليه المنتهى في عزوه إلى الكتب الستة والمسند، ولقد نصر السنة المحضة والطريقة السلفية، واحتج لها ببراهين ومقدمات، وأمور لم يسبق إليها. وأطلق عبارات أحجم عنها الأولون، وهابوا وجسر عليها. حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام، قياماً لا مزيد عليه، وبدعوه وناظروه، وكاتبوه، وهو ثابت لا يداهن ولا يحابي، بل يقول الحق الذي أدى إليه اجتهاده، وحدّة ذهنه، وسعة دائرته في السنن والأقوال، مع ما اشتهر منه من الورع، وكمال الفكرة، وسعة الإدراك، والخوف من الله العظيم والتعظيم لحرماته...» إلى آخر ما قال[4].

---

(١) الشهادة الزكية ٣٢، وقد تركت بعض الأبيات.

(٢) محمد بن أحمد الذهبي (٦٧٣ - ٧٤٨هـ)، مؤرخ الإسلام، وكان آية في نقد الرجال (انظر: تذكرة الحفاظ، محمد ابن أحمد الذهبي الذيل الأول للمحاسني٥/٣٤، دار الكتب العلمية، بيروت دطت، موافقة لطبعة حيدر آباد).

(٣) تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد الذهبي ١٤٩٦/٤ - ١٤٩٧.

(٤) الشهادة الزكية للكرمي ٤٠ - ٤١ من نقولات متفرقة.

٩ - البزار حيث ألف كتابه : «الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية» ألفه بعد إلحاح الناس عليه بعد وفاة شيخ الإسلام ، وقد جمع فيه بعض مناقب الشيخ في أربعة عشر فصلاً[١].

١٠ - ابن الوردي[٢]، حيث قال عن رحلته ودخوله دمشق : «فتركت التعصب والحمية ، وحضرت مجالس ابن تيمية فإذا هو بيت القصيدة... فقلت :

إن ابن تيمية في كل العلوم واحد
أحييت دين أحمد وشرعه يا أحمد[٣]

١١ - ابن فضل الله العمري[٤]، حيث قال عنه : «كان أمة وحده ، أخمل من القرناء كل عظيم ، وأخمد من أهل البدع كل حديث وقديم ، جاء في عصر مأهول بالعلماء إلا أن شمسه طمست تلك النجوم»[٥].

١٢ - ابن القيم[٦]، حيث قال عنه : «شيخ الإسلام والمسلمين ، القائم

(١) وخرج الآن مطبوعاً في تسعين صفحة تقريباً. (انظر الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية ، عمر بن علي البزار ، تحقيق زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ).

(٢) زين الدين عمر بن الوردي كان ماهراً في المنثور والمنظوم والعربية ت ٧٤٩هـ ، وكلامه دال على تحذير خصوم ابن تيمية من حضور مجالسه.

(٣) الشهادة الزكية للكرمي ٣٠ ، وله كلام في مدحه وذكر سعة علمه وزهده وخشوعه انظر : تاريخ ابن الوردي ٢/٤٠٦ = ٤٠٨.

(٤) أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري ٦٩٧ - ٧٤٩هـ مؤرخ عارف برجال عصره وتراجمهم غزير المعرفة بالتاريخ. (انظر الأعلام ١/٢٦٨).

(٥) الشهادة الزكية للكرمي ٥٥.

(٦) محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ٦٩١ - ٧٥١هـ أخص تلاميذ ابن تيمية برع في علوم متعددة لا سيما في العقيدة والتفسير والحديث ، كان عابداً زاهداً قال عنه ابن كثير : «لا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادة منه». (البداية والنهاية ١٤/٢٣٥).

ببيان الحق ونصرة الدين الداعي إلى الله ورسوله، المجاهد في سبيل الله... مفتي الفرق، علامة الدنيا»[1].

وابن القيم ناله من الدائرة ما نال شيخه من بعض الاتهامات، كما سبق في اتهامه بالتشدد.

وقد قال ابن حجر[2] في تزكيته: «ولو لم يكن للشيخ تقي الدين من المناقب إلا تلميذه الشهير الشيخ، شمس الدين، ابن القيم الجوزية - صاحب التصانيف النافعة السائرة، التي انتفع بها الموافق والمخالف - لكان غاية في الدلالة على عظم منزلته»[3].

١٣ - ابن رجب[4]، حيث قال عنه: «الإمام الفقيه المجتهد المحدث الحافظ المفسر الأصولي الزاهد، تقي الدين، أبو العباس، شيخ الإسلام وعلم الأعلام، وشهرته تغني عن الإطناب في ذكره، والإسهاب في أمره»[5].

١٤ - ابن كثير[6]، وقد ذكر عنه الكثير، وهذا طرف منه: «قرأ بنفسه الكثير وطلب الحديث، وقل أن سمع شيئاً إلا حفظه، ثم اشتغل

---

(١) الشهادة الزكية للكرمي ٣٤.

(٢) أحمد بن حجر العسقلاني الشافعي ٧٧٣ - ٨٥٢ حافظ الإسلام والمحدث المشهور أصله من فلسطين وحياته بمصر، رحل في طلب العلم، وقصده الناس بعد ذلك، وكتاباه فتح الباري وتهذيب التهذيب وغيرهما تدل على سعة علومه. (انظر البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني ٨٧/١ - ٩٢، ويليه الملحق التابع له لمحمد بن محمد بن يحيى، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ).

(٣) الرد الوافر لابن ناصر الدين ٢٣١.

(٤) عبد الرحمن بن أحمد بن رجب المحدث الحافظ العلامة وواعظ الإسلام ت ٧٦٥هـ.

(٥) الشهادة الزكية ٥١.

(٦) إسماعيل بن كثير الدمشقي ٧٠١ - ٧٧٤هـ الحافظ العلامة المؤرخ المفسر الفقيه (انظر تذكرة الحفاظ تذييل المحاسني ٥٧/٥ - ٥٩).

بالعلوم، وكان ذكياً كثير المحفوظ، فصار إماماً بالتفسير وما يتعلق به، عارفاً بالفقه، فيقال: إنه كان أعرف بفقه المذاهب من أهلها، وكان عالماً باختلاف العلماء، عالماً في الأصول والفروع والنحو واللغة، وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية، وما قطع في مجلس ولا تكلم معه فاضل في فن من الفنون إلا ظن أن ذلك الفن فنه، وأما الحديث فكان حامل رايته حافظاً له مميزاً بين صحيحه وسقيمه، عارفاً برجاله، وله تصانيف كثيرة وتعاليق مفيدة في الأصول والفروع، ووجدت بخط الزملكاني عنه أنه قال: اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها، وإن له اليد الطولى في حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتدين»[1].

فهؤلاء كبار أئمة العلم المعاصرين لابن تيمية، وقد شاهدوه وسمعوا منه، وبعضهم طلاب له لازموه وعاصروه، وأقوالهم تغني عن أي تعليق.

وختاماً لهذه الفقرة نذكر شهادة عالمين كبيرين من غير مذهبه وغير متهمين فيه:

الأول: العلامة ابن حجر العسقلاني، حيث قال تقريظاً على كتاب الرد الوافر بقوله: «وشهرة وإمامة الشيخ تقي الدين أشهر من الشمس، وتلقيبه بشيخ الإسلام في عصره باق إلى الآن على الألسنة الزكية، ويستمر غداً كما كان بالأمس، ولا يُنكِرُ ذلك إلا من جهل مقداره، أو تجنب الإنصاف، فما أغلط من تعاطى ذلك واكثر عثاره، فالله تعالى هو المسؤول أن يقينا شرور أنفسنا وحصائد ألسنتنا بمنه وفضله»[2].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١٤/١٣٧.

(٢) الرد الوافر لابن ناصر الدين، تقريظ ابن حجر ٢٢٩.

الثاني: العلامة العيني[1] حيث قال في رده على خصوم ابن تيمية، ومدحه له: «هو الذاب عن الدين، طعن الملاحدة والملحدين... فمن قال: «كافر»! فهو كافر حقيق، ومن نسبه إلى الزندقة! فهو زنديق.

وكيف ذاك وقد سارت تصانيفه في الآفاق، وليس فيها شيء مما يدل على الزيغ والشقاق»[2].

بل إننا نجد من المستشرقين أنفسهم من يعترف بأثر ابن تيمية في مقاومة البدع، حيث يقول قولد زيهر[3]: «في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي ظهر في سوريا فقيه جريء أحسن التعبير عن ميول الحنابلة وآرائهم، وهو تقي الدين ابن تيمية الذي دأب في خطبه وكتاباته على مراجعة الإسلام التاريخي دارساً له من ناحية سننه القديمة وما طرأ عليها من ابتداع، ثم هب لمناهضة البدع التي عملت على تحوير المعالم الأصيلة للإسلام وتعديلها، سواء كان ذلك في العقائد أم في الأحكام

---

(١) العلامة الحافظ محمود بن أحمد بدر الدين العيني الحنفي ٧٦٢ - ٨٥٥، التركي الأصل والمولد والنشأة، ثم رحل إلى الشام ومصر وطلب العلم في الديار، وبرع في علوم شتى كالفقه والحديث والتفسير واللغة والنحو والتاريخ، وتولى قضاء الحنفية في مصر ومات بها. (انظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٢٨٦/٧، دار المسيرة، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

(٢) الرد الوافر تقريظ العيني ٢٤٤ - ٢٤٥.

(٣) قولد زيهر Goldziher (١٨٥٠ - ١٩٢١م): مستشرق يهودي مجري، درس اللغات السامية، زار مصر والشام وتعلم اللغة العربية، وكان أستاذا محاضرا في = = بودابست، واشتهر بتحقيقه في تاريخ الإسلام وعلوم المسلمين، من أشهر كتبه «العقيدة الشريعة في الإسلام» و«تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي»

(انظر: المستشرقون للعقيقي ٤٠/٣ - ٤٢ وقد مدحه بما ليس فيه كالبعد عن الهوى.

موسوعة المستشرقين لبدوي ٢٨٩ - ٢٩٠).

والعبادات.... وكافح ابن تيمية الصوفية ومبادئها الحلولية، كما استنكر تقديس النبي والأولياء، وأنكر الحج إلى قبر النبي ﷺ»[1].

فالإنصاف مع ابن تيمية وغيره الموازنة بين الخطأ والصواب، وجهاد ابن تيمية وعلمه وفضله وردوده على الكفار والمبتدعة من سائر الطوائف مشهورة معلومة، والخطأ منه ليس إلا نقطة في بحر فضائله التي شهد بها علماء عصره ومن بعدهم، وهذا هو العدل. قال ابن رجب: «والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه»[2].

رابعاً: اتهامه بالتجسيد والتشبيه:

جاء في الدائرة: (وكان ابن تيمية مسرفاً في القول بالتجسيد، ومن ثم كان يفسر كل الآيات والأحاديث التي تشير إلى الله بظاهر اللفظ، وقد تشبع بهذه العقيدة إلى درجة أن ابن بطوطة[3] يروي عنه أنه قال من منبر جامع دمشق: [إن الله ينزل السماء الدنيا كنزولي هذا] ثم نزل درجة من درج المنبر «انظر على الأخص مجموعة الرسائل الكبرى ١/٧٨٣ وما بعدها»)[4].

---

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام، قولد زيهر ٢٣٥، ترجمة وتعليق: محمد يوسف موسى وآخرين، دار الكتاب الحديث بمصر، الطبعة الثانية، دت.

(٢) القواعد في الفقه الإسلامي، عبد الرحمن بن رجب الحنبلي ٣، دار المعرفة، بيروت، دطت.

(٣) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي المشهور بابن بطوطة، رحالة مؤرخ، ولد في طنجة بالمغرب الأقصى سنة ٧٠٣هـ، وخرج منها سنة ٧٢٥، فطاف بلاد المغرب ومصر والشام والحجاز واليمن وفارس حتى وصل إلى بعض الهند والصين وغيرها من البلاد، واتصل بكثير من الملوك والأمراء، وعاد إلى فاس بعد ٢٧ عاما من التطواف، ومات في مراكش سنة ٧٧٩هـ. (انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن حجر العسقلاني، ١٠٠/٤، تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، مصر، دطت. والأعلام للزركلي ٢٣٥/٦- ٢٣٦).

(٤) الدائرة، ٢٣٣/٢، ابن تيمية، محمد بن أبي شنب.

وكتب شتروتمان[1] في الدائرة: (ونجد من جهة أخرى أن ابن تيمية تلميذ ابن الجوزي قد عُد هو وأضرابه - مثل أبي عامر محمد بن سعدون القرشي[2]- من غلاة المشبهة، فقد روى ابن بطوطة ونقل عنه كثيرون) ثم ساق نقل ابن بطوطة في نزوله عن المنبر[3].

وجاء بعدها: (وأهم من هذا التعليق رد ابن تيمية في مصنفاته على المشبهة الذين يقولون: بصر كبصري «رسالة الفرقان ١١٩»، ويد كيدي، وتفسيره للآيات القائلة بوجود الله مع الناس، وهو حقاً من التأويل، ودأبه على جعل العبارات التشبيهية التي قيلت في الله صفات خاصة به سبحانه، ثم قوله بنوع خاص: إن الأحاديث التجسيدية السخيفة في النزول إنما وضعها الزنادقة الكفار ليشينوا بها أهل الحديث، وتجريحه المستمر بوجه عام التشبيه والتعطيل مما ينبئ على الأقل بمقصده ومعتقده)[4].

قال قولد زيهر في الدائرة: (استأنف هذا الفقيه النضال في سبيل المذهب الحنبلي، فأنكر التأويل)[5].

---

(١) شتروتمان، رودلف R. Strothmann (١٨٧٧ – ١٩٦٠م): مستشرق ألماني متخصص في الفرق، من آثاره: «الزيدية» وأربعة كتب عن الإسماعيلية والنصيرية. (المستشرقون للعقيقي، ٢/٤٤٢-٤٤٣).

(٢) محمد بن سعدون بن مرجا العبدري القرشي، ولد بقرطبة، وطلب العلم ببغداد، وكانت له معرفة جيدة في الحديث، وكان ظاهرياً في الفروع، قال الذهبي: كان من بحور العلم لولا تجسيم فيه، توفي سنة ٤٢٥هـ. (انظر البداية والنهاية لابن كثير ١٢/٢٠١، سير أعلام النبلاء للذهبي ١٩/٥٧٩).

(٣) الدائرة ٩/٣٢٠، التشبيه، شتروتمان.

(٤) الدائرة ٩/٣٢٠، التشبيه، شتروتمان.

(٥) الدائرة ٢/٣٦٨، أحمد بن حنبل، قولد زيهر.

قلت: الرد على الكلام السابق من وجوه عدة:

أولها: العجيب أن يأتي بعد اتهام ابن تيمية أنه من غلاة المشبهة محاولة تبرئة هشام بن الحكم[1] من التشبيه حيث جاء فيها: (أما موقفنا من أبي محمد هشام بن الحكم فأشد عسراً، ذلك أنه لم يصل إلينا من تواليفه شيء، على أن الأشعري [مقالات الإسلاميين ٢٩] قد بين لنا أن أقاويله قد ظهر اختلافها عند جمعها - وبعد أن نقل قول هشام بالتجسيم قال - ومع ذلك فقد ابتعد جهد طاقته عن التشبيه)[2].

وإذا سلمنا بذلك جدلاً - مع أن عامة من ألَّف في الفِرَق ذكر أنه من غلاة المشبهة مستنداً إلى أقواله[3] - فإن ابن تيمية وصلت مؤلفاته إلينا بنفي التشبيه، والتشنيع على أصحابه.

فلم يكن ابن تيمية مجسداً أو مشبهاً، ومن الظلم له بمكان وصفه بذلك! وكتاباته جميعها تدل على نقيض ذلك، وابن تيمية على مذهب السلف في إثبات صفات الله الثابتة في الكتاب والسنة على وجه يليق بالله عز وجل من غير تشبيه

(١) هشام بن الحكم الشيباني بالولاء الكوفي من متكلمي الإمامية ولد ونشأ بالعراق كان من غلاة المشبهة وغلا في علي فقال إنه إله واجب الطاعة توفي قرابة سنة ١٩٠هـ.(انظر الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ١/١٨٤- ١٨٥، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة بيروت ١٤٠٠هـ، والأعلام للزركلي ٨/٨٥)..

(٢) الدائرة ٩/٣٢٠، التشبيه، شتروتمان.

(٣) انظر مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري ٢٠٧- ٢٠٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تصحيح هلموت ريتر، الطبة الثالثة، دت، والفرق بين الفرق عبد القاهر بن طاهر البغدادي ٦٥، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت دطت. والملل والنحل للشهرستاني ١/١٨٤.

ولا تكييف ولا تعطيل ولا تأويل، ولا يقتضي إثبات الصفات على ظاهرها التشبيه، وليس هذا مذهب ابن تيمية مطلقاً، يعلم هذا كل من قرأ كلامه، فضلاً عما يجب على الباحثين المدققين من تحري مقصود الكاتب، وحقيقة كلامه.

وهذه جملة من كتاباته - رحمه الله - :

يقول ابن تيمية: «إذا قال القائل: ظاهر النصوص مراد، فإنه يقال له: لفظ الظاهر فيه إجمال واشتراك. فإن كان القائل يعتقد أن ظاهرها التمثيل بصفات المخلوقين، أو هو من خصائصهم، فلا ريب أن هذا غير مراد، ولكن السلف والأئمة لم يكونوا يسمون هذا ظاهرها، ولا يرتضون أن يكون ظاهر القرآن والحديث كفراً وباطلاً، والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم من أن يكون كلامه الذي وصف به نفسه لا يظهر منه إلا ما هو كفر وضلال»[1].

من هذا الكلام يستفاد: أن ابن تيمية أكثر احترازاً من التشبيه من أولئك الذين وصفوه به؛ ذلك أنهم مشتركون في نفي التشبيه، ولكن ابن تيمية زاد عليهم بأنه يستحيل أن تكون ظواهر النصوص تشبيهاً، وذلك لعظمة النصوص عنده من جهة، ولشناعة التشبيه من جهة أخرى حتى سماه كفراً وباطلاً وضلالاً، بينما أقروا هم بذلك فاحتاج ظاهر النص عندهم لتأويل، ولما لمْ يحتج إلى تأويل عند ابن تيمية وصمه الجاهلون بالتشبيه.

كما قال: «والله سبحانه لا تضرب له الأمثال التي فيها مماثلة لخلقه، فإن الله لا مثيل له بل له المثل الأعلى»[2].

(١) مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ٤/٣، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم، الرياض، دطت.

(٢) مجموع الفتاوى ٣٠/٣.

وقال في مقدمة الواسطية: «ومن الإيمان بالله: الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل. بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير؛ فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته، ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه؛ لأنه سبحانه لا سميَّ له، ولا كفو له ولا ندَّ له. ولا يقاس بخلقه سبحانه»[1].

وقال عن مذهب السلف في الصفات الذي يدافع عنه: «فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات، مع نفي مماثلة المخلوقات: إثباتاً بلا تشبيه، وتنزيهاً بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[2]. ففي قوله: (ليس كمثله شيء) رد للتشبيه والتمثيل، وقوله: ﴿ وهو السميع البصير ﴾ رد للإلحاد والتعطيل.

والله سبحـانه بعث رسله بإثبات مفصل ونفي مجمل، فأثبتوا لله الصفات على وجه التفصيل، ونفوا عنه ما لا يصح له من التشبيه والتمثيل، كما قال تعالى: ﴿... فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَـٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾[3]. قال أهل اللغة: هل تعلم له سمياً أي نظيراً يستحق مثل اسمه. ويقال: مسامياً يساميه، وهذا معنى ما يروى عن ابن عباس ﴿ هل تعلم له سميا ﴾ مثيلاً أو شبيهاً»[4].

---

(١) العقيدة الواسطية، أحمد بن تيمية ٧، دار عكاظ ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

(٢) الشورى ١١.

(٣) مريم ٦٥.

(٤) مجموع الفتاوى ٤/٣.

وقال أيضاً: «وكذلك التمثيل منفي بالنص والإجماع القديم مع دلالة العقل على نفيه»[1].

فهذا كلامه - رحمه الله - واضح لا لبس فيه في نفي مشابهة صفات الله لصفات المخلوقين مع إثباتها على وجه يليق بالله تعالى.

كانت عقيدته موافقة للسلف الأُوَل، وقد تحدى خصومه أن يأتوا بكلام للسلف يخالف ما جاء به، وأمهلهم ثلاث سنين[2]، فلم يجدوا شيئاً مع شدة حرصهم على النيل منه، وكان هذا أسهل عليهم من السعي إلى السلطان والوشاية به وسجنه، حتى مات مسجوناً.

ثانيها: فيما يتعلق بنقل ابن بطوطة في اتهام شيخ الإسلام بتلك القصة التي يستدل بها كُتاب الدائرة على أن ابن تيمية مشبه ومجسم، وترديدهم لتلك الحادثة في مواضع كثيرة، فالجواب عنها من وجوه:

أولاً: أن شيخ الإسلام ابن تيمية سجن سجنه الأخير - الذي لم يخرج منه إلا بعد وفاته - في السادس عشر من شعبان سنة (٧٢٦هـ)[3]، وابن بطوطة لم يدخل دمشق إلا بعد ذلك، وهذا كلامه في كتابه الذي ذكر فيه نزول ابن تيمية من المنبر. قال: «ووصلت يوم الخميس التاسع من شهر رمضان المعظم عام ستة وعشرين إلى مدينة دمشق»[4].

---

(١) مجموع الفتاوى ١٦٧/٣.

(٢) مجموع الفتاوى ١٦٩/٣.

(٣) البداية والنهاية ١٢٣/١٤، تاريخ ابن الوردي، عمر بن الوردي، ٣٩٨/٢، المطبعة الحيدرية، النجف ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

(٤) رحلة ابن بطوطة المُسماة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، محمد ابن عبد الله الطنجي ٦١، دار الكتاب اللبناني، دط.

ثم قال: «وكان بدمشق من كبار الفقهاء الحنابلة تقي الدين بن تيمية كبير الشام يتكلم في الفنون إلا أن في عقله شيئاً.. وكنت إذ ذاك بدمشق فحضرته يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم فكان من جملة كلامه أن قال: «إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا»، ونزل درجة من درجات المنبر، فعارضه فقيه مالكي يُعرف بابن الزهراء، وأنكر ما تكلم به، فقامت العامة إلى هذا الفقيه، وضربوه بالأيدي والنعال حتى سقطت عمامته»[(١)].

فابن بطوطة لم يرَ الشيخ يخطب؛ لأنه كان آنذاك مسجوناً حتى توفي.

ثانياً: لو صح كلام ابن بطوطة لنقل نقلاً مستفيضاً عنه، ولشنع به أعداؤه، وهذا لم يحصل.

ثالثاً: نقل ابن بطوطة مخالف لما ثبت مستفيضاً عن ابن تيمية في رسائله وسائر مصنفاته، ومن ذلك قوله في الفتاوى عن استواء الله تعالى: «إنا لا نعلم كيفية استوائه كما لا نعلم كيفية ذاته، ولكن نعلم المعنى الذي دل عليه الخطاب، فنعلم معنى الاستواء، ولا نعلم كيفيته، وكذلك نعلم معنى النزول ولا نعلم كيفيته»[(٢)].

ويقول عن الله عز وجل: «ونزوله واستواؤه ليس كنزولنا واستوائنا»[(٣)].

يقول ابن حجر العسقلاني - رحمه الله - في رد هذه الفرية عن ابن تيمية - رحمه الله - : «وهذه تصانيفه طافحة بالرد على من يقول بالتجسيم، والتبري منه»[(٤)].

---

(١) رحلة ابن بطوطة ٦٨.

(٢) مجموع الفتاوى ٥/٣٦٥.

(٣) مجموع الفتاوى ٥/٣٥٢.

(٤) الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي الشافعي ٢٣٠- ٢٣١.

فلم يكن ابن تيمية مشبهاً أو مجسماً فضلاً أن يكون كما وصفته الدائرة من غلاة المشبهة.

وإنني لأتعجب من الاستدلال بكلام ابن بطوطة، وترك كلام المعني بالأمر، وعدم الاستدلال به مع وجوده وتفصيله في مصنفاته بوفرة، هل هذا من المنهج العلمي في شيء!.

إن كلام الخصم على خصمه لا يحتج به وحده، وقد جاء هذا في نفس الدائرة: (وصُنفت في الرد على الجهم رسائل شتى بين أيدينا منها رسالة أحمد بن حنبل[1] «الرد على الزنادقة والجهمية»، ولم يذكر ابن حنبل إلا القليل من أقوال خصمه، ولا يمكن التثبت من صحة الحجج التي نسبها إليه إلا إذا قام عليها دليل آخر)[2]، فالإمام أحمد وما استفاض عنه من علم وورع كما جاء في الدائرة مصرحاً به: (وقد جذب علمه وورعه ...)[3] لا يُطمئن إلى صحة الحجج التي أوردها عن خصمه حتى يقوم دليل آخر، مع أن خصمه لم يؤلف كتباً من الممكن الرجوع إليها.

وإذا أقررنا ذلك لزيادة التحري، وباعتبار أن أقوال الخصوم لا تفيد العلم وحدها، فَلِمَ لا ينسحب ذلك على خصوم أهل السنة أيضاً! إذ يُقبل كلام خصومهم فيهم كما هو الحال عن ابن تيمية هنا، وكذلك نجد في الدائرة نفسها

---

(١) أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ولد في بغداد سنة ١٦٤هـ، محدث وفقيه، امتحن في فتنة خلق القرآن فثبت، وهو أحد الأئمة الأربعة المتبوعين، توفي سنة ٢٤١هـ. (انظر: البداية والنهاية لابن كثير، ٣٢٥/١٠).

(٢) الدائرة ٣١٧/٩- ٣١٨، التشبيه، شتروتمان.

(٣) الدائرة ٣٦٦/٢، أحمد بن حنبل، قولد زيهر.

إطلاق لقب الحشوية على الإمام أحمد وأصحابه[1]، وهو عين التسمية التي كان يطلقها الزنادقة على أهل الأثر[2]، وكذلك اعتمدت الدائرة أيضا على كلام خصوم دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب[3] - رحمه الله- في الطعن على الإمام ودعوته[4]؛ مع أن أهل السنة لهم من الكتب والمؤلفات المفيدة لليقين عن معتقداتهم دون الحاجة لكلام الخصوم، ومع ظهور ورعهم وكذب خصومهم عليهم!

رابعاً: ليس في مجموعة الرسائل الكبرى ما يدل على مراده ألبتة؛ وذكر المرجع والأمر كذلك من التدليس إن لم يكن من الكذب الصريح.

---

(١) انظر: الدائرة ٣٣١/٩، التصوف، ماسنيون.

(٢) قال الإمام أبو زرعة الرازي: وعلامة الزنادقة أن يسموا أهل الأثر حشوية، ويريدون إبطال الآثار عن رسول الله ﷺ. (شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم هبة الله بن الحسين اللالكائي، ١٨٢/٢، تحقيق أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، دت).

(٣) الإمام محمد بن عبد الوهاب (١١١٥- ١٢٠٦هـ). صاحب الدعوة الإصلاحية في نجد، ولد في بيت علم ودين في العيينة حيث كان والده قاضي العيينة، وكان الشيخ قوي الذهن فحفظ القرآن وهو صغير، ثم درس الفقه الحنبلي، ثم رحل في طلب العلم في الحجاز والعراق، و عاد إلى نجد سنة ١١٣٩هـ، وكان حريصاً على إصلاح الأوضاع في نجد بعد أن انتشرت الخرافات وعُبدت القبور، وكان له ما أراد بعد توفيق الله ثم وقوف محمد بن سعود أمير الدرعية وأبنائه بجانبه، حتى اتسعت الدعوة والدولة لتشمل نجد وغالب الجزيرة العربية، بل تأثر بها كثير من المصلحين في العالم الإسلامي. (انظر عامة الكتب التي ألفت عن الشيخ، ومنها: «عنوان المجد في تاريخ نجد»، عثمان بن بشر النجدي ١١٣/١، طبع ونشر وزارة المعارف السعودية ١٣٩٤هـ، «الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية»، أحمد بن حجر آل بوطامي، طبع ونشر الحكومة السعودية ١٣٩٥هـ، و«محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه»، مسعود الندوي، طبع ونشر جامعة الإمام ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م. وغيرها).

(٤) انظر: الدائرة الأولى ٢١٧/١٣، شرك، بيوركمان، و ٢٨٥/١٢، السنة، فنسك، والإمام محمد بن عبد الوهاب في التاريخ، عبد الله بن سعد الرويشد، ١٦٦/١، مكتبة عيسى البابي الحلبي، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.

ثالثها: فيما يتعلق بالتأويل، فالتأويل بمعنى التفسير لم ينكره ابن تيمية، وإنما أنكر تحريف الصفات عن ظاهرها، التي تليق بالله تعالى وقد كرر ابن تيمية - رحمه الله - في مواضع كثيرة من كتاباته: أن التأويل يطلق على ثلاثة معان:

الأول: حقيقة ما يؤول إليه الكلام، وإن وافق ظاهره، وهذا هو المعنى الذي يراد بلفظ التأويل في الكتاب والسنة، كقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ...﴾ [1]، ومنه قول عائشة[2]: **(كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا ولك الحمد، اللهم اغفر لي، يتأول القرآن)**[3].

الثاني: التفسير، وهو اصطلاح بعض المفسرين كما يفعل الطبري[4].

الثالث: صرف اللفظ عن ظاهره الذي يدل عليه إلى ما يخالف ذلك[5].

وهذا الثالث هو موضع الخلاف بين ابن تيمية وخصومه إذ هم يرون التأويل بالمعنى الثالث لصرف معاني الصفات عن ظاهرها، وهو لا يرى ذلك؛ ويحتج بأن

---

(١) الأعراف ٥٣.

(٢) عائشة بنت أبي بكر الصديق أحب أزواج النبي ﷺ إليه بعد خديجة، وهي البكر الوحيدة من زوجاته، كانت عالمة فاضلة، روت عن النبي ﷺ الكثير من الأحاديث، توفيت بالمدينة سنة ٨٥هـ. (انظر: الإصابة ٣٦٠/٤- ٣٦١).

(٣) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، التفسير سورة ١١٠ /٢، المكتبة الإسلامية، استانبول، موافقة لطبعة العامر ١٣١٥هـ. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، الصلاة ١١٧، ترتيب وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

(٤) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، الإمام العالم المجتهد، عالم العصر، أبو جعفر الطبري، (٢٢٤-٣١٠هـ) عالم مفسر، ومؤرخ ثقة، عُرض عليه القضاء فامتنع، أصله من أهل طبرستان، واستوطن بغداد ومات فيها (انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٦٧/١٤).

(٥) انظر مجموع الفتاوى ٥٥/٣ – ٥٦، ٦٨/٤- ٦٩، ٥٥/٥ - ٦٦.

هذا التأويل تحريف لصفات الله تعالى عن مراد الله بسبب الفهم الفاسد: وهو أن ذلك الظاهر لصفات الله يقتضي التشبيه، وهذا المحذور المزعوم المُقتضي لصرف ذلك الظاهر إلى معانٍ أخرى هو موجود فيما أثبتوه من معان، فيكون ما نفوه من جنس ما أثبتوه، مع التحريف الموجود[1].

كما أن هذا لم يفعله السلف؛ بل هم لا يعرفون التأويل بهذا المعنى[2].

فابن تيمية لم ينكر التأويل الموجود في القرآن وفي عُرف المفسرين، وإنما أنكر التحريف الذي سماه بعض المتأخرين تأويلاً لنفي صفات الله.

إن القارئ لكتب ابن تيمية ليعجب من دقة تفصيله واستدلالاته في قضية التأويل حتى قال بعض الدارسين المتعمقين في هذه القضية: «والحق أقول: لم أجد - فيما قرأت - أحداً عالج قضية التأويل بهذا المنطق الواضح قبل ابن تيمية، كما لم أجد إلى من تفطّن إلى ما في هذا اللفظ من إجمال ثم وضّح مجمله وبيّن مبهمه غير ابن تيمية ومن تأثر بمنهجه»[3].

وللأسف أن تخرج هذه العبارة ممن يدعي التحقيق فينسب لابن تيمية إنكار التأويل دون تحقيق مذهبه في ذلك!

رابعها: فيما يتعلق بالإشكال الأخير الذي أورده، فهو أمر منطقي إذ لا يمكن أن يتناسق رده المستمر على المشبه ونفيه التشبيه مع ما وصفه ابن بطوطة واستشهد

(١) مجموع الفتاوى ٣/ ٦٧.

(٢) مجموع الفتاوى ٤/ ٦٩.

(٣) ابن تيمية وقضية التأويل «دراسة لمنهج ابن تيمية في الإلهيات وموقفه من المتكلمين والفلاسفة والصوفية»، محمد السيد الجليند ١٣٤ - ١٣٥، نشر شركة عكاظ للتوزيع، جدة، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

به الكاتب، والأولى الاعتماد على مصنفات ابن تيمية ورد ما خالفها.

وأخيراً ذكر المستشرق أن ابن تيمية تلميذ لابن الجوزي وهذا غير صحيح، ويكفي أن نعلم أن ابن الجوزي توفي - رحمه الله - سنة ٥٩٧هـ، بينما لم يُولد ابن تيمية إلا في سنة ٦٦١هـ.

خامساً: اتهامه بتحريم زيارة القبور:

جاء في الدائرة هذا المعنى بنقولات لعدة كتّاب حيث قال عنه محمد بن شنب كاتب ترجمته: (وكان ابن تيمية عدواً لدوداً للبدع فقد هاجم التضرع للأولياء وزيارة القبور، ومن جهة أخرى فإنه لم يحرم زيارة قبر المسلم متبعاً في ذلك رأي الشعبي[١] وإبراهيم النخعي[٢]، إلا إذا كانت هذه الزيارة تقام في يوم معين وتحتاج لرحلة خاصة)[٣].

وقال لاوست[٤]: (أنكر زيارة القبور وعدها بدعة)[٥].

---

(١) عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الشعبي، (١٩- ١٠٣هـ) علامة عصره، راوية من التابعين، ولد ونشأ وتوفي بالكوفة، من رجال الحديث الثقات الذين يضرب المثل بحفظهم، ومن الفقهاء، وقد استقضاه عمر بن عبد العزيز (انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ٢٩٤/٤- ٣١٩).

(٢) إبراهيم بن يزيد بن قيس أبو عمران النخعي، (٤٦- ٩٦هـ) أحد أعلام كبار التابعين صلاحا وصدق رواية وحفظ حديث، من أهل الكوفة، مات مختفيا من الحجاج. (انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٥٢٠/٤).

(٣) الدائرة ٢٣٣/١، ابن تيمية، محمد بن أبي شنب.

(٤) لاوست H. Laoust، مستشرق فرنسي ولد ١٩٠٥م، وتخرج من السوربون، وانضم إلى المعهد الفرنسي بالقاهرة (١٩٤١- ١٩٤٤) ثم عُين مديرا له، ثم أستاذا في جامة ليون، انتخب عضوا في مجامع كثيرة منها المجمع العلمي بدمشق (١٩٦٥). (انظر: المستشرقون للعقيقي ٣٢١/١- ٣٢٢)..

(٥) الدائرة ١٠٠/١٦، الحنابلة، لاوست.

وقال قولد زيهر: (أنكر التأويل، وحرم البدع كزيارة القبور والتوسل بالأولياء، وغير ذلك)[1].

قلت: لم يحرم ابن تيمية زيارة القبور، وإنما حرم شد الرحال إلى القبور كقبر النبي صلى الله عليه وسلم وغيره استناداً إلى قول النبي ﷺ: **"لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد"**[2]، فإذا حرُم شد الرحل لأي مسجد سوى هذه الثلاثة كان شد الرحل مُحرَّماً لأي قبر من باب أوْلى.

بل الإجماع منعقد على ما ذهب إليه - رحمه الله - إذ لم يؤثر عن القرون الأولى شد الرحل لأي قبر كان.

أما الزيارة الشرعية للقبور التي لا تتعلق بها محاذير كالشرك بالله، والتبرك بالقبور، واتخاذها عيداً؛ فإن شيخ الإسلام لم يحرمها، بل استحبها اقتداء بفعل النبي ﷺ، وهذه نصوص محكمة من كلامه:

- قال فيما يتعلق بالسفر إلى مسجد النبي ﷺ: «ولم يقل أحد من أئمة المسلمين إن هذا السفر لا تُقصر فيه الصلاة، ولا نهى أحد عن السفر إلى مسجده؛ وإن كان المسافر إلى مسجده يزور قبره ﷺ؛ بل هذا من أفضل الأعمال الصالحة، ولا في شيء من كلامي وكلام غيري نهي عن ذلك، ولا نهي عن المشروع في زيارة قبور الأنبياء والصالحين، ولا عن المشروع في زيارة سائر القبور؛ بل قد ذكرت في غير موضع استحباب زيارة القبور كما كان النبي ﷺ يزور أهل البقيع وشهداء أحد.... وإذا كانت زيارة قبور عموم المؤمنين مشروعة؛ فزيارة قبور

(١) الدائرة ٢/٣٦٨، أحمد بن حنبل، قولد زيهر.

(٢) البخاري، فضل الصلاة ٦، مسلم الحج ٥١١.

الأنبياء والصالحين أولى»[1].

ومؤلفاته ومعاصروه يشهدون بذلك، قال ابن كثير في ترجمته مبرئاً له من افتراءات الخصوم: «والشيخ لم يمنع الزيارة الخالية عن شد رحل، بل يستحبها، ويندب إليها، وكتبه ومناسكه تشهد بذلك... ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[2]»[3].

قال العلامة ابن عبد الهادي: «إن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - لم يحرم زيارة القبور على الوجه المشروع في شيء من كتبه، ولم ينه عنها، ولم يكرهها، بل استحبها وحض عليها، ومناسكه ومصنفاته طافحة بذكر استحباب زيارة قبر النبي ﷺ وسائر القبور»[4].

وللأسف الشديد أن المرجع الذي استقى منه بعض هذه المعلومات هو مؤلف لأحد خصوم ابن تيمية[5].

وفيما يتعلق بالتوسل بالأولياء: فإن ابن تيمية لم ينكر التوسل الشرعي، وهو التوسل بالإيمان والعمل الصالح، وبدعاء النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعته

---

(١) الجواب الباهر في زوار المقابر، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ١٤- ١٥، ويليه الرد على الأخنائي واستحباب زيارة خير البرية، تحقيق سليمان عبد الرحمن الصنيع وعبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، المطبعة السلفية، الطبعة الأولى.

(٢) الشعراء ٢٢٧.

(٣) البداية والنهاية ١٤/١٢٤.

(٤) الصارم المُنكي في الرد على ابن سبكي، محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي المقدسي ٢٤، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

(٥) وهو الفتاوى لابن حجر الهيتمي ٨٧، انظر الدائرة ١/٢٣٣.

لأمته عامة أو أفراد منها ؛ بل ذكر ابن تيمية - رحمه الله - أن من أنكر هذا التوسل فهو كافر مرتد[(١)].

وإنما هو أنكر التوسل الشركي بقبر النبي ﷺ وقبور الصالحين، ذلك كدعائهم وسؤالهم ؛ لأنه شرك ؛ بل هو من جنس شرك المشركين في الجاهلية، وما يفعله أولئك لم يفعله الصحابة والسلف الصالح عند القبور، بل كانوا يزورون القبور الزيارة الشرعية المتضمنة السلام على الميت والدعاء له، لا مسألته[(٢)].

فكيف ينكر على ابن تيمية موافقته للقرآن والسنة وما تبع فيه سلف الأمة ؛ بل الواجب الإنكار على من اتبع آثار المشركين في دعاء الأموات وطلب الشفاعة منهم، وقد كان المشركون الأولون يبررون دعاءهم لهم بما يشبه ما يبرره هؤلاء في الأولياء: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ...﴾ [(٣)].

وبذلك يكون اتهامه بإنكار زيارة القبور وتحريم التوسل بالأولياء لم يستند على استقصاء لأقواله ومذهبه في هاتين المسألتين، ولم يبن على تصور شرعي سليم.

سادساً: اتهامه بمخالفة الإجماع:

جاء في الدائرة: (وكان في هذه الفترة أيضاً ظهور تقي الدين ابن تيمية في بلاد الشام الذي أحدث ضجة كبيرة، فقد استأنف هذا الفقيه النضال في سبيل المذهب

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ابن تيمية ١٤، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م. وطلب الدعاء والشفاعة من النبي ﷺ إنما يكون حال حياته، أما الشفاعة في الآخرة فتطلب من الله وحده، ولم يشرع طلب شيء من ذلك منه وهو في قبره، ولم يفعله أحد من صحابته - رضي الله عنهم -.

(٢) قاعدة جليلة لابن تيمية ٢٠- ٢٣.

(٣) الزمر ٣.

الحنبلي، فأنكر التأويل، وحرم البدع كزيارة القبور والتوسل بالأولياء، وغير ذلك، وكان نضاله هذا ضد المذاهب التي سادت طويلاً قبل ذلك، ولكنه خرج بعمله هذا على مقتضيات الإجماع عند أهل السنة فاضطهد وخسر المذهب الحنبلي بسقوطه خسارة عظمى)[1].

كما نسب لابن تيمية أيضاً: (ليس من الزندقة أو المروق أن ترى رأياً مخالفاً للإجماع)[2].

قلت: ابن تيمية وإن كان منتسباً إلى المذهب الحنبلي إلا أنه مجتهد ولا يلتزم بالمذهب إذا رأى أن الدليل مع غيره.

والمسائل التي دافع عنها ابن تيمية لا تخص المذهب، بل دافع عن عقيدة السلف الصالح جميعاً، ونضال الشيخ لم يكن في مسائل فقهية فحسب، بل الأغلب كان مضاداً للفلسفات والشركيات والبدع التي سادت باسم الدين، مع أنها نشأت بتأثيرات خارجية، فعمل ابن تيمية - رحمه الله - على تصفية الدين منها، وذلك سبيل المجددين.

وفيما يتعلق بالإجماع فلم يخرج ابن تيمية عنه، ولا يجوز نقل كلام الخصوم بالتسليم إذ ليس هذا مقتضى الإنصاف، دون العودة إلى مصنفاته المنتشرة الواضحة.

وقد تبين عدم مخالفته للإجماع في النقاط السابقة.

وابن تيمية مجتهد حسب الدليل، واجتهاده هو من الاجتهاد السائغ، قال العلامة العيني في الذب عنه: «سارت تصانيفه في الآفاق، وليس فيها شيء مما يدل

(١) الدائرة ٢/٣٦٧، أحمد بن حنبل، لاوست.

(٢) الدائرة ١/٢٣٤، ابن تيمية، محمد بن أبي شنب.

على الزيغ والشقاق، ولم يكن بحثه فيما صدر عنه في مسألة الزيارة والطلاق[1] إلا عن اجتهاد سائغ بالاتفاق، والمجتهد في الحالتين مأجور مُثاب، وليس فيه شيء مما يُلام أو يُعاب، ولكن حملهم على ذلك حسدهم الظاهر، وكيدهم الباهر»[2].

وقد قرر ابن تيمية - رحمه الله - أهمية الإجماع في نصوص كثيرة، منها قوله: «والإجماع هو الأصل الثالث الذي يُعتمد عليه في العلم والدين»[3].

وقوله: «الإجماع وهو متفق عليه بين عامة المسلمين من الفقهاء والصوفية وأهل الحديث والكلام وغيرهم في الجملة، وأنكره بعض أهل البدع من المعتزلة والشيعة، ولكن المعلوم منه هو ما كان عليه الصحابة، وأما ما بعد ذلك فتعذر العلم به غالباً، ولهذا اختلف أهل العلم فيما يُذكر من الإجماعات الحادثة بعد الصحابة»[4].

فشيخ الإسلام ابن تيمية لا ينكر الإجماع، وكيف ذلك وما لا يُحصى من استدلالاته تكون بالإجماع[5].

ولكنه أيضاً يعلن بكل صراحة أنه يجب التثبت من وقوع الإجماع، وأنه يصعب ضبطه في الأزمنة المتأخرة، قال - رحمه الله - : «والإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح؛ إذ بعدهم كثُر الاختلاف وانتشرت الأمة»[6].

---

(١) وهاتان المسألتان من أكثر المسائل التي يشنع عليه خصومه بسببها ويتهمونه بمخالفة الإجماع.

(٢) الرد الوافر تقريظ العيني ٢٤٥.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٥٧/٣.

(٤) مجموع الفتاوى ٣٤١/١١.

(٥) في مجلد واحد من الفتاوى وفي أقل من أربعين صفحة احتج به خمس مرات انظر ٢١٦/٣٥، ٢١٨، ٢٢٧، ٢٣٣، ٢٤٢.

(٦) مجموع الفتاوى ١٥٧/٣.

وهذا ليس خاصاً به، فالإمام أحمد كان يحذر من التساهل في نقل الإجماع، وله مقولته المشهورة: «من ادعى الإجماع فهو كاذب، لعل الناس اختلفوا» ومن المعلوم أن الإمام أحمد لا ينكر الإجماع وإنما ينكر تساهل أهل البدع في دعواه لذا نجده يقول: «هذه دعوى بشر المريسي[1] والأصم[2]»[3].

سابعاً: اتهامه بالتشدد:

قال شاخت[4] في الدائرة: (... وبلغ الأمر ببعضهم أن قال بوجوب الاجتهاد على الفقهاء المتأخرين وذموا التقليد مثل داود بن علي[5] وابن حزم[6]، وغيرهما

---

(١) بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي، العدوي بالولاء، فقيه معتزلي، أخذ الفقه عن أبي يوسف القاضي، قال برأي الجهمية، ورأس الفرقة المريسية القائلة بالإرجاء، توفي سنة ٢١٨هـ. (انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي ١٠/١٩٩، والأعلام للزركلي، ٢/٥٥).

(٢) حاتم بن عنوان أبو عبد الرحمن المعروف بالأصم، من أهل الزهد والورع والتقشف، وهو من بلخ، زار بغداد، وشهد بعض معارك الفتوح، مات سنة ٢٣٧هـ. (انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ١١/٤٨٤- ٤٨٧).

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ١/٣٠، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٧٤هـ- ١٩٥٥م.

(٤) شاخت يوسف، J. schacht (١٩٠٢ – ١٩٦٩م): مستشرق ألماني، تخرج في جامعتي برسلاوا وليبزيج، عين أستاذا في كل من جامعة فرابورج، والجامعة المصرية، ودرّس في الجزائر، وفي قسم الدراسات الإسلامية بأكسفورد، ثم في جامعة ليدن بهولنداحيث اشترك هناك في إعداد الطبعة الثانية من الدائرة، ثم انتقل إلى جامعة كولمبيا للتدريس حتى توفي هناك وكان عضوا في عدد من المجامع منها المجمع العلمي بدمشق، واشتهر بدراسة التشريع الإسلامي. (انظر: الأعلام للزركلي، ٨/٢٣٤، والمستشرقون للعقيقي، ٢/٤٦٩- ٤٧١).

(٥) داود بن علي بن خلف الأصبهاني، أبو سليمان، الملقب بالظاهري، (٢٠١- ٢٧٠هـ) أصله من أصبهان، ومولده بالكوفة، وسكن بغداد، أول من جهر بالظاهر، وإليه ينسب المذهب الظاهري. (انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ١٣/٩٧- ١٠٨).

(٦) علي بن أحمد بن حزم (٣٨٤- ٤٥٦هـ) أحد كبار علماء الأندلس وإمام المذهب الظاهري، تأثر بالمعطلة في عقيدة الأسماء والصفات. (انظر: البداية والنهاية ١٢/٩١- ٩٢).

من ثقات الظاهرية، وبعض الحنابلة مثل ابن تيمية وابن قيم الجوزية اللذين كانا من متشددي أهل السنة)[1].

كما جاء عن ابن تيمية وابن القيم: (وقد اشتهر كلاهما بصرامة عقائده، وبشدة وطأته على من يعتقد غير معتقدهما)[2].

قلت: لم يكونا - رحمها الله - متشدديْن التشدد المذموم، حيث لم يكن دافعهما التشدد على من خالفهما، وإنما من خالف القرآن والسنة، حيث كانا متمسكين بدين الله حريصيْن على استقامة دينه، وبيان الحق فيه.

وكان ابن تيمية يرد على من خالف الكتاب والسنة مبيناً أوجه الخلاف، ومتمسكاً بأهمية الالتزام بأحكام الإسلام واتباع السلف الصالح، كما يتشدد مع من يعارض الكتاب والسنة بمنهج آخر كالقياس الفاسد، أو النقل الكاذب، أو الخطاب الشيطاني، أو الذوق، وتحريف النصوص لأجل ذلك[3].

كما كان متمسكاً بتحقيق العبودية لله وحده لذا سار على منهج السلف في وجوب الالتزام بالكتاب والسنة فيما يتعلق بصفات الله تعالى، وبتحريم صرف أي عبودية لغير الله، ومن ذلك شرك الاستغاثة بأهل القبور، وما يتقدم ذلك من محدثات لم تأت في السنة، وهذا لا شك من التمسك بدين الله لا من التشدد.

ولأجل تمسكه بالكتاب والسنة جعل الأصل هو طاعة الله ورسوله والاجتهاد في إصابة ذلك، وتحريمه للتقليد لمن استطاع الاجتهاد، أو لمن يعلم أنه بتقليده لأحد الأئمة يخالف نصاً شرعياً، إذ لو سُمح بذلك لبقي كل إمام في أتباعه بمنزلة

(١) الدائرة ٩/٤٧٦، التقليد، شاخت.

(٢) الدائرة ٢/٣٦٩، أحمد بن حنبل، لاوست.

(٣) مجموع الفتاوى ١٣/٧٦- ١٠٢، ١٩/٧١- ٧٥.

النبي ﷺ في أمته وهذا تبديل للدين، ويحتج ابن تيمية على ذلك بأنه مشابه لما عابه الله على النصارى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ...﴾ (1)، ولكن ابن تيمية مع كل ذلك لا يوجب الاجتهاد على من لا يقدر عليه عملاً بقول الله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ...﴾ (2)(3).

فقوله في هذه المسألة وسط فهو ينكر على الموجبين للاجتهاد في كل حال، وكذا على موجبي التقليد على كل أحد، فعند حديثه عن بعض الفقهاء الموجبين للنظر والاستدلال في مسائل الفروع على كل أحد، يقول: «وهذا ضعيف؛ لأنه لو كان طلبُها - الأحكام - واجباً على الأعيان فإنما يجب مع القدرة، والقدرة على معرفتها من الأدلة المفصلة تتعذر أو تتعسر على أكثر العامة.

وبإزائهم من أتباع المذاهب من يوجب التقليد فيها على جميع من بعد الأئمة: علمائهم وعوامهم»(4).

فهو يتمسك بعدم مخالفة النصوص مع العلم بها لأجل التقليد، أو لمن قدر على الاجتهاد؛ لأن هذا من تمام طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما إذا نظرنا إلى أحواله وآرائه، فإننا نجد أن فتاواه لا توصف بالتشدد، بل إنه أقرب إلى التسامح(5)، والأخذ برخص الإسلام فيما أحله الله، ومن أمثلة ذلك:

(1) التوبة ٣١.

(2) التغابن ١٦.

(3) انظر ذلك في مجموع الفتاوى ٢٠/٢١٠- ٢١٦.

(4) مجموع الفتاوى ٢٠/٢٠٢- ٢٠٣.

(5) ليس المقصود بالتسامح هنا ما درج في عرف الناس اليوم من التهاون والتساهل، إنما المقصود عدم التضييق فيما ثبت بالدليل سعته.

- أنه أبعد ما يكون عن التفسيق والتكفير للمعين إذا صدر منهم ما يوجب ذلك إلا بعد العلم أنه قد قامت عليه الحجة[١].

- ترغيبه في التوبة وجعلها مسقطة لما قبلها حتى للمسلم المتأول، حيث قال: «فالتوبة تجبُّ ما قبلها، والمسلم المتأول معذور، ومعه الإسلام الذي تُغفر معه الخطايا، والتوبة التي تجبُّ ما قبلها، وفي إيجاب القضاء وإسقاط الحقوق وإقامة العقوبات تنفير عن التوبة، والرجوع إلى الحق أكثر من التنفير بذلك للكافر، فإن أعلام الإسلام ودلالته أعظم من أعلام هذه الفروع وأدلتها، والداعي إلى الإسلام من سلطان الحجة والقدرة قد يكون أعظم من الداعي إلى هذه الفروع وهذا لا شبهة فيه عندي، وإن كان فيه نزاع»[٢].

وفي قوله السابق دليل تسامحه واهتمامه بأصول الإسلام وتيسيره في فروعه.

ومن فتاواه الدالة على تسامحه:

- لا يَنْجُسُ الماء إلا بالتغير خلافاً لأكثر الفقهاء الذين يجعلون الماء ينجُس إذا كان قليلاً، وأصابته نجاسة[٣].

- أنه يأخذ بأيسر المذاهب في مسائل إعادة الصلاة أو قضاء الفوائت[٤].

- لا يشترط الطهارة في الطواف[٥].

- الأصل في العقود الإباحة مخالفاً لجمهور الفقهاء[٦].

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/٢٢٩.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٢/١٥- ١٦.

(٣) مجموع الفتاوى ٢١/٥٥٠- ٥٠١.

(٤) مجموع الفتاوى ٢٢/٩٨- ١٠٨.

(٥) مجموع الفتاوى ٢٦- ١٩٨.

(٦) الفتاوى الكبرى أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ٣/٢٧٥، دار المعرفة بيروت، دطت.

- عدم اشتراط عبارات بعينها في البيع بل يكفي المعاطاة، أو ما يدل على التراضي خلافاً لبعض المذاهب[١].

- وكذا في الخلع والنكاح فإنه لا يوجب صيغة محددة، وإنما يكفي ما يدل عليه، خلافاً لجمهور الفقهاء[٢].

- كما أنه لا ينفذ طلاق الثلاث بكلمة واحدة خلافاً للجمهور[٣].

نعم هو يتشدد في الرضا في سائر العقود، وإن كان ظاهرها مستوفياً للشروط[٤]، ويتشدد أيضاً في وجوب الوفاء بالشروط والعهود والمواثيق، وبأداء الأمانة[٥]، وكذا في وجوب إعانة الناس بعضهم لبعض[٦].

وهذا كله من التشدد المحمود المراعي لأصول الشريعة الإسلامية.

ومما يدل على تسامحه عفوه قبل موته عن السلطان الذي حبسه لكونه مقلداً معذوراً، بل عفا وتجاوز عن سائر خصومه بشرط ألا يكون عدواً لله ورسوله فقال: «قد أحللت كل واحد مما كان بيني وبينه، إلا من كان عدواً لله ورسوله»[٧].

ثامناً: اتهامه بالهوى:

جاء في الدائرة بقلم مكارثي[٨]: (وقد قال ابن تيمية في الباقلاني: «إنه خير

---

(١) مجموع الفتاوى ٢١/٥٠- ٨.

(٢) مجموع الفتاوى ٢١/٩- ١١.

(٣) مجموع الفتاوى ٣٢/٣١١- ٣١٣.

(٤) مجموع الفتاوى ٢٩/١٥٥، ١٨٨، ١٩٦.

(٥) مجموع الفتاوى ٢٩/١٤٥- ١٤٦.

(٦) مجموع الفتاوى ٢٩/١٩٤.

(٧) الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، الحافظ عمر بن علي البزار ٨٢، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ.

(٨) الآب مكارثي، Mccarthy, R.R.J.، ولد في عام ١٩١٣م، في سبرنجفيلد- ماسجوزتس، بالولايات المتحدة، تخرج في كلية الصليب المقدس، وكلية بوسطن، وجامعة أوكسفورد، حيث نال

متكلمي الأشاعرة لا يدانيه سابق ولا لاحق»[1]، ولكن هذا المديح ليس خالصاً من الهوى)[2].

قلت: إنها دعوى من غير دليل، فأين الهوى في ذلك؟

بل إن هذه العبارة وأمثالها قد عدت من انصافاته للأشاعرة الذين ينتقدهم في كثير من المسائل، وابن تيمية امتدح الباقلاني كثيراً في ردوده على الباطنية، ومواقفه العظيمة من النصارى[3] ومدحه لهذه الأسباب هو موقف منهجي يحتمه عليه تمسكه بالإسلام، لا بأهواء شخصية.

ولم ينفرد ابن تيمية في الثناء على الباقلاني[4] بل سائر العلماء والمؤرخين ذكروا فضله وعلمه، ومن ذلك:

ما ذكره أبو الوليد الباجي[5] معللاً طلبه العلم من الباقلاني قال: «كنت ماشياً مع الدارقطني فلقينا القاضي أبا بكر فالتزمه الدارقطني وقبّل وجهه وعينيه، فلما

الدكتوراه في الفلسفة، وانضم إلى رهبنة في عام ١٩٣٣، من آثاره،: تحقيق كتاب اللمع للأشعري، وكتاب التمهيد للباقلاني، وغيرهما من المصنفات (المستشرقون للعقيقي، ٣٠٩/٣).

(١) هذه العبارة موجودة في الفتوى الكبرى الحموية الكبرى لابن تيمية ٥٦، وهي في مجموع الفتاوى ٩٨/٥ ونصها: «وقال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المتكلم، وهو أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعري، ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده».

(٢) الدائرة ١٠٦/٦، الباقلاني، مكارثي.

(٣) انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة، عبد الرحمن بن صالح المحمود ٧١٥/٢، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م «بحث دكتوراه».

(٤) محمد بن الطيب الباقلاني (٣٣٨- ٤٠٣هـ) من كبار علماء الكلام والأشاعرة، أصولي فقيه انتهت إليه الرئاسة في مذهب الشافعي، كان ذكياً جيد الاستنباط سريع البديهة فلج ملك الروم في مناظرة مشهورة معه. (انظر الأعلام للزركلي ١٧٦/٦).

(٥) سليمان بن خلف بن سعد التجيبي القرطبي، أبو الوليد الباجي، (٤٠٣- ٤٧٤هـ) من فقهاء المالكية، ومن رجال الحديث، مولده في الأندلس بباجة، رحل إلى الحجاز وبغداد والموصل ودمشق، ثم عاد

افترقا قلت: من هذا؟ قال: هذا إمام المسلمين، والذاب عن الدين أبو بكر بن الطيب، قال الباجي: فمن ذلك الوقت ترددت عليه»[1].

وقال الخطيب البغدادي[2] عن الباقلاني - وهو أقرب المؤرخين إليه - : «فأما الكلام فكان أعرف الناس به، وأحسنهم خاطراً، وأجودهم لساناً، وأوضحهم بياناً، وأصحهم عبارة، وله التصانيف الكثيرة المنتشرة في الرد على المخالفين من الرافضة والمعتزلة والجهمية والخوارج وغيرهم»[3].

وقال ابن خلدون[4]: «وكثر اتباع الشيخ أبي الحسن الأشعري واقتفى طريقته من بعده تلميذه ابن مجاهد وغيره، وأخذ عنهم القاضي أبو بكر الباقلاني فتصدر للإمامة في طريقتهم، وهذبها، ووضع المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الأدلة والأنظار»[5].

وقال ابن كثير: «محمد بن الطيب أبو بكر الباقلاني، رأس المتكلمين على

إلى الأندلس، فولي القضاء ببعض أنحائها، توفي بالمرية بعد أن ترك تصانيف عديدة. (انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٥٣٥/١، والأعلام للزركلي، ١٢٥/٣).

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ١١٠٤/٣.

(٢) هو أحمد بن علي بن ثابت البغدادي (٣٩٢- ٤٦٣هـ) أحد الحفاظ المؤرخين النقاد، عالما باللغة العربية والأدب، له التصانيف الكثيرة المفيدة، أشهرها التاريخ المشهور «تاريخ بغداد»، كان ورعا تقيا وزع كل ماله في وجوه الخير وأوقف جميع كتبه - رحمه الله تعالى- (انظر: سير أعلام النبلاء ٢٧٠،٢٩٤/١٨).

(٣) تاريخ بغداد، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، ٣٧٩/٥، دار الكتاب العربي، بيروت، دطت.

(٤) هو عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي الإشبيلي (٧٣٢- ٨٠٨هـ)، فيلسوف مؤرخ، وعالم اجتماع وفقيه تولى قضاء المالكية بمصر. (انظر: الأعلام للزركلي٣٣٠/٣).

(٥) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون المغربي، ٤٦٥، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الخامسة، دت.

مذهب الشافعي، وهو من أكثر الناس كلاماً وتصنيفاً في الكلام...، وقد كان في غاية الفطنة والذكاء» وذكر من قصصه مع ملك الروم ما يؤيد ذلك[1].

وابن تيمية مدح الباقلاني، وانتقد بعض آرائه حيث نسب التناقض لبعض كلام الباقلاني فيما يتعلق بالصفات[2]، ولو كان باعثه الهوى لما فعل ذلك.

ومثل هذه الدعوى تحقق لهذا المستشرق صيدين في آن واحد هما: التعريض بالباقلاني الذي رد على النصارى وأهل البدع خاصة الجهمية والمعتزلة اللتين من عادة كتاب الدائرة الانتصار لهما، والحط من ابن تيمية ووصمه بالهوى، وقد تبين مكانة الباقلاني، وأن كلام ابن تيمية ومدحه له لم ينفرد به بل أعطاه المكانة الحقيقية الذي وافقه عليها العلماء والمؤرخون.

وقد كان ابن تيمية أبعد ما يكون عن الهوى حتى في تلك المسائل التي يختلف فيها مع خصومه. قال ابن حجر العسقلاني عن ابن تيمية: «والمسائل التي أُنكرت عليه ما كان يقولها بالتشهي، ولا يصر على القول بها بعد قيام الدليل عليه عناداً»[3].

تاسعاً: اتهامه بالسقوط:

جاء في الدائرة: (وكان في هذه الفترة أيضاً ظهور تقي الدين ابن تيمية في بلاد الشام الذي أحدث ضجة كبيرة، وحرم البدع كزيارة القبور والتوسل بالأوليآء، وغير ذلك، وكان نضاله هذا ضد المذاهب التي سادت طويلاً قبل ذلك، ولكنه

---

(١) البداية والنهاية ١١/٣٥٠.

(٢) انظر درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ٥/٢٣٨، تحقيق: محمد رشاد سالم، نشر جامعة الإمام محمد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.

(٣) الرد الوافر، تقريض ابن حجر ٢٣٠- ٢٣١.

خرج بعمله هذا على مقتضيات الإجماع عند أهل السنة فاضطهد وخسر المذهب الحنبلي بسقوطه خسارة عظمى)[1].

قلت: ابن تيمية لم يسقط، وليس السقوط بالاضطهاد أو السجن، وإنما السقوط بضعف الحجة والبرهان، وخصومه لم يقدروا عليه في ميدان الحجج فلم يجدوا سوى ذلك، وأما العلو فهو علو الحق المؤيد بقوة الحجة والبرهان.

قال البزار عن شدة عداوة خصومه له وظهور حجته: «وهو مع ذلك كلّما رأى تحاشدهم في مباينته، وتعاضدهم في مناقضته، لا يزداد للحق إلا انتصاراً، ولكثرة حججه وبراهينه إلا إظهاراً، ولقد سجن أزماناً وأعصاراً وسنين وشهوراً، ولم يولهم دبره، فراراً، ولقد قصد أعداؤه الفتك به مراراً، وأوسعوا حيلهم عليه إسراراً وإعلاناً، فجعل الله حفظه منهم له شعاراً ودثاراً، ولقد ظنوا أن في حبسه مشينة، فجعله الله له فضيلة وزينة، وظهر له يوم موته - من كثرة مشيعيه ومحبيه - ما لو رآه وادُّه أقر به عينيه»[2].

والسجن مع الثبات منقبة عظيمة. وقد قال الله تعالى حكاية عن الصديق يوسف - عليه السلام - : ﴿... رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ...﴾ [3].

ولمّا عجز فرعون عن محاجة موسى قال الله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾[4].

---

(١) الدائرة ٣٦٨/٢، أحمد بن حنبل، لاوست.

(٢) الأعلام العلية للبزار ٧٦.

(٣) يوسف ٣٣.

(٤) الشعراء ٢٩.

وأئمة المذاهب اضطُهدوا فهذا مالك[1] ضُرِبَ سبعين سوطاً في خلافة المنصور، وأبو حنيفة[2] ضُرب أكثر من مائة سوط في عهد مروان بن محمد، وفتنة الإمام أحمد[3] معلومة، وأكبر تلاميذ الشافعي[4] البويطي[5] الذي كان الشافعي يقول عنه: «هو لساني» حُمل إلى بغداد أيام الواثق مغلولاً، كما نُفي البخاري[6]، وضُرب النسائي[7][8].

---

(١) مالك بن أنس الأصبحي، (٩٣- ١٧٩هـ) أحد الأئمة الأربعة، وصاحب المذهب المشهور المتبوع، والإمام في الحديث الشريف، وصاحب الموطأ، ولد وعاش بالمدينة النبوية، وقصده الناس من كل مكان. (انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي ٨/٤٣- ١٢٠).

(٢) الإمام النعمان بن ثابت الكوفي (٨٠- ١٥٠هـ). أحد الأئمة الأربعة وصاحب المذهب المشهور، أصله من فارس ومنشؤه ووفاته بالكوفة، أدرك بعض الصحابة، تتلمذ ولزم حماد بن أبي سليمان، ارتحل في تحصيل العلم ذلك حتى أصبح مقصد الناس، كان آية في الفقه والتدقيق في الرأي والناس عيال عليه فيه. (انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٦/٣٩٠- ٤٠٤).

(٣) أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ولد في بغداد سنة ١٦٤هـ، محدث وفقيه زاهد، صاحب المسند، امتحن في فتنة خلق القرآن فثبت، وهو أحد الأئمة الأربعة المتبوعين، توفي سنة ٢٤١هـ. (انظر: الدبداية والنهاية لابن كثير، ٣٥٢/١٠).

(٤) محمد بن إدريس الشافعي القرشي، ولد بغزة سنة ١٥٠هـ، حفظ القرآن والموطأ ولما يتجاوز العاشرة، وأفتى وهو ابن خمس عشرة سنة، وعني باللغة والشعر، وهو أحد الأئمة الأربعة المتبوعين، توفي سنة ٢٠٤هـ. (انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ٥/١٠).

(٥) يوسف بن يحيى القرشي أبو يعقوب البويطي، من أهل مصر، صاحب الإمام الشافعي، وواسطة عقد جماعته، شهد الشافعي بعلمه، وقام مقام الشافعي في الدرس والإفتاء بعد وفاته، امتحن في فتنة خلق القرآن فامتنع على القول بذلك فسجن ومات في سجنه سنة ٢٣١هـ. (انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ١٢/٥٨- ٦١).

(٦) هو محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤- ٢٥٦هـ)، اتفق العلماء على سعة علمه بالسنة وإتقانه لها، حفظ مئات الآلاف من الأحاديث النبوية، وألف كتابه الصحيح الذي تلقته الأمة بالقبول. (تهذيب التهذيب، أحمد بن حجر العسقلاني ٩/٤٩- ٥٥ دار صادر، بيروت، طبعة حيدر أباد، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ).

(٧) أحمد بن علي بن شعيب النسائي صاحب السنن ومن أئمة وحفاظ الحديث، كان ورعا تقيا توفي سنة ٣٠٣هـ (البداية والنهاية ١١/١٢٣).

(٨) غاية الأماني في الرد على النبهاني، أبو المعالي محمود شكري الألوسي ١/٤٢- ٤٣، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ.

ولو صح الاستدلال بالاضطهاد على السقوط لكان للوثنيين واليهود ممن لا يؤمن بعيسى بن مريم أن يستدل على ما حصل له، ومن مطاردة لأتباعه على سقوطه حاشاه الله من ذلك!

وإذا كان للنجاح دلالات وشواهد مع حسن السيرة وسلامة المعتقد فإن من ذلك إقبال الناس على الصلاة عليه وتشييع جنازته والدعاء له، وقد حضر جنازته من الأمم التي شيعتها، حتى امتلاء الجامع أكثر من يوم الجمعة وصلى الناس بالخارج[1].

قال ابن حجر العسقلاني: «ولو لم يكن من الدليل على إمامة هذا الرجل إلا ما نبه عليه الحافظ الشهير علم الدين البرزالي في تاريخ: «أنه لم يُوجد في الإسلام من اجتمع في جنازته لمَّا مات ما اجتمع في جنازة الشيخ تقي الدين»[2].

إن السقوط هو ظهور الكذب والافتراء وعدم الاستفادة من العلم، وقد ظهر ابن تيمية وسطعت حجته، وبارك الله في كتبه، وعُرف وجُهل خصومه.

ويثبت الواقع التاريخي أن شيخ الإسلام ابن تيمية يكاد يكون أكثر شخصية أثرت في الفكر السني من حيث التنظير والرد على الخصوم بعد القرون الثلاثة الأولى، وها نحن نرى أثره بعد قرابة سبعة قرون من وفاته، فأين السقوط؟

عاشراً: اتهامه بالطعن في رجال الإسلام:

جاء في الدائرة في ذم ابن تيمية: (وطعن كذلك على الرجال الذين يعدون حجة في الإسلام، فقال في منبر جامع الصالحية: إن عمر بن الخطاب[3] وقع في

---

(١) انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي ٤/١٤٩٧، والرد الوافر تقريظ العيني ٢٤٩، وانظر تاريخ ابن الوردي ٢/٤٠٦ وقد ذكر أن من حضر جنازة الشيخ قرابة مائتي ألف.

(٢) الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي ٢٢٩.

(٣) عمر بن الخطاب القرشي العدوي، كانت إليه سفارة قريش في الجاهلية، كان شجاعا مهابا، أسلم سنة ست من النبوة فأعز الله به الدين وهو أفضل أصحاب النبي ﷺ بعد أبي بكر، وورد في فضله الأحاديث الثابتة الكثيرة، تولى الخلافة فكان ثاني الخلفاء، استشهد بالمدينة سنة ٢٣ هـ (انظر الإصابة ٢/٥١٨- ٥١٩).

كثير من الأخطاء، وقال أيضاً: إن علي بن أبي طالب[1] أخطأ ثلاثمائة مرة، وهاجم الغزالي[2] بشدة، كما هاجم محيي الدين بن عربي، وعمر بن الفارض، والصوفية بوجه عام)[3].

قلت: الحجة في الإسلام هي كتاب الله تعالى وما صح في السنة الشريفة، ويقتدى بالصحابة - رضي الله عنهم - الذين عدَّلهم القرآن، لا سيما الخلفاء الأربعة الذين أمرنا النبي ﷺ بالاقتداء بسنتهم بقوله: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي"[4]. خاصة أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - لقول النبي ﷺ: "وإن يطع الناس أبا بكر وعمر يرشدوا" قالها ثلاثاً[5].

---

(١) علي بن أبي طالب ابن عم النبي ﷺ وأول من أسلم من الصبيان وأكثر الصحابة ملازمة للنبي ﷺ وهو رابع الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة من أعلام الصحابة وعلمائهم ولد قبل البعثة بعشر سنين، وقتل شهيدا بالكوفة سنة ٤٠هـ (انظر: الإصابة ٢/٥٠٧- ٥١٠).

(٢) محمد بن محمد بن محمد الغزالي، ولد سنة ٤٥٠هـ، وتفقه على إمام الحرمين، وبرع في علوم كثيرة، وله مصنفات عديدة ومتنوعة، درّس في النظامية ببغداد، ثم إنه خرج عن الدنيا بالكلية وتفرغ للعبادة فرحل إلى دمشق وبيت المقدس، ثم عاد إلى بلدته طوس، فأقام فيها ودرّس، وتوفي سنة ٥٠٥هـ. (انظر: سير أعلام النبلاء، ١٩٢٢٣- ٦٤٣).

(٣) الدائرة، ١/٢٣٤، ابن تيمية، محمد بن شنب.

(٤) مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل الشيباني ٤/١٢٦، دار الفكر العربي، دطت. وسنن الترمذي، محمد ابن عيسى الترمذي علم ١٦، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م، وسنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنة ٥، وبهامشه معالم السنن للخطابي، إعداد عزت الدعاس، وعادل السيد، نشر دار الحديث حمص، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ- ١٩٧١م، وسنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، مقدمة ٦، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، شركة الطباعة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، وصححه محمد ناصر الدين الألباني في صحيح سنن ابن ماجه٤٠، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٧٦م.

(٥) رواه أحمد ٥/٢٩٨.

أما ما يتعلق بما زعمه من مقالة لابن تيمية في حق عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - فليس بصحيح، فلم يصدر عنه ذلك القول، والكاتب مطالب بالمصدر، وكتب الشيخ مشتهرة معروفة، وليس فيها ذلك.

وعمر وعلي من خيرة الصحابة، وهما مع ذلك غير معصومين عن الخطأ؛ ولكن فضائلهما مشتهرة، ومناقبهما معروفة، وما صدر منهما من أخطاء على ندرتها هي من باب الخطأ في الاجتهاد الذي يؤجر عليه المخطئ.

وكل من كان له أدنى خبرة بما كتبه ابن تيمية يعلم خلاف ما كتبه الكاتب عنه؛ حيث نجد توقيره للصحابة عموماً - رضي الله عنهم - لا سيما الخلفاء الأربعة، وكلام ابن تيمية في مدح عمر وعلي - رضي الله عنهما - والدفاع عنهما كثير جداً من الصعوبة سرده، ولكن من ذلك:

قال - رحمه الله - : «أزهد الناس بعد رسول الله ﷺ الزهد الشرعي أبو بكر وعمر»[1].

وقال: «أعلم الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر»[2].

وقال أيضاً: «إن عدْل عمر - رضي الله عنه - ملأ الآفاق وصار يضرب به المثل» ثم أخذ يضرب الأمثلة الكثيرة على فضله وعدله وصحة رأيه وموافقته للقرآن وتزكية العلماء له[3].

---

(١) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ٤٧٩/٧، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

(٢) منهاج السنة النبوية ٥٠٠/٧.

(٣) منهاج السنة النبوية ٥١/٦.

وقال أيضاً: «ثم استُخلِف عمر فقهر الكفار من المجوس، وأهل الكتاب، وأعز الإسلام، ومصَّر الأمصار، وفرض العطاء، ووضع الديوان، ونشر العدل وأقام السنة، وظهر الإسلام في أيامه ظهوراً بان به تصديق قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [1] وقوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ...﴾ [2]، وقول النبي ﷺ: "إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده. والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله" فكان عمر - رضي الله عنه - هو الذي أنفق كنوزهما. فعُلم أنه أنفقها في سبيل الله، وأنه كان خليفة راشداً مهدياً»[3].

كما قال: «وكان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي - رضي الله عنهم - : هم الخلفاء الراشدون، والأئمة المهديون الذين قال فيهم النبي ﷺ: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ..." وقد تنازع كثير من الناس في خلافة علي... والصحيح الذي عليه الأئمة: أن علياً - رضي الله عنه - من الخلفاء الراشدين»[4].

---

(١) الفتح ٢٨.

(٢) النور ٥٥.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٥/٣٠٣ - ٣٠٤.

(٤) مجموع الفتاوى ٤/٤٧٨ - ٤٧٩.

وقال أيضاً: «فلما قتل - أي عثمان رضي الله عنه - تفرقت القلوب، وعظمت الكروب، وظهرت الأشرار، وذل الأخيار، وسعى في الفتنة من كان عاجزاً عنها، وعجز عن الخير من كان يحب إقامته، فبايعوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وهو أحق الناس بالخلافة حينئذ، وأفضل من بقي»[1].

فهذه جملة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية تبين كذب ما ذكره الكاتب عنه.

ومن تلبيسات المستشرق حشر الخليفتَين الراشدَين عمر وعلي - رضي الله عنهما - مع ابن الفارض وابن عربي وجعل الجميع حجة في الإسلام.

وأما الصوفية فالشيخ انتقدها في مخالفتها السنة، وما جاءت به من بدع مُحدَثة، وهذا موقف أهل السنة عموماً من المبتدعة، وقد انتقد ابن تيمية الصوفية، انتقاد العارف البصير وميَّز بين الأخطاء البسيطة والبدع العظيمة التي يصل بعضها إلى الشرك بالله، مميِّزاً بين ما يعذر، وما لا يعذر من تلك الأخطاء، وكانت ردوده ردوداً علمية مبنية على أسس من الكتاب والسنة حيث سلك ابن تيمية العدل معهم، فلم يذم إلا من خرج عن السنة، منتقداً البدع التي أحدثوها، مع الاتزان في ذلك.

قال ابن تيمية بعد ذكره لأقوال بعض العلماء في التصوف بين مغال في المدح ومغال في الذم: «والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل الطاعة، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين، وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ، وفيهم من يتوب أو لا يتوب.

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٥/٣٠٤- ٣٠٥.

ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه، عاص لربه، وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة؛ ولكن عند أكثر المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم: كالحلاج[١] فإن أكثر مشائخ الطريقة أنكروه، وأخرجوه عن الطريق مثل الجنيد[٢] سيد الطائفة وغيره، كما ذكر ذلك الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي[٣] في طبقات الصوفية، وذكره الحافظ أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد»[٤].

أما الغزالي فلم يكن مراد ابن تيمية التنقص منه، وإنما التنبيه على أخطائه في كتبه كإحياء علوم الدين[٥] وإلجام العوام عن علم الكلام[٦] والمضنون به على غير أهله[٧] وغيرها، وما عمله إنما هو بيان للحق، لا لمجرد الهجوم أو التنقص، ولم يفتر عليه شيء ألبتة، وإنما بيَّن تأثره بالفلاسفة والباطنية، ونقص بضاعته في الحديث، وهذا معلوم لمن تدبر كتب الغزالي، وهو مع كل هذا له من التصانيف النافعة التي لا تنكر.

---

(١) الحسين بن منصور الحلاج، أبو مغيث، فيلسوف، أصله من بيضاء فارس، ونشأ بواسط العراق، وهو الذي قال بالحلول، توفي سنة ٣٠٩هـ (انظر: الأعلام للزركلي، ٢/٢٦٠).

(٢) الجنيد بن محمد بن الجنيد الخراز، أصله من نهاوند، ولد في بغداد ونشأ بها، سمع الحديث وتفقه، وتكلم على طريقة الصوفية، وكان يقول مذهبنا مقيد بالكتاب والسنة، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في مذهبنا، توفي سنة ٢٩٨هـ (انظر: سير أعلام النبلاء ١٤/٦٦- ٧٠).

(٣) محمد بن محمد بن موسى الأزدي السلمي النيسابوري، أبو عبد الرحمن(٣٢٥- ٤١٢هـ) محدث حافظ من علماء المتصوفة، له تصانيف كثيرة، مولده ووفاته بنيسابور. (انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/٢٤٧-٢٥٥).

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١١/١٨.

(٥) مجموع الفتاوى ١٠/٥٥١- ٥٥٢.

(٦) مجموع الفتاوى ١٦/٤٤١.

(٧) مجموع الفتاوى ٤/٦٣.

وهو مدح الغزالي في مواضع من كتبه فيما أصاب فيه كطعنه - رحمه الله - لطريقة الفلاسفة في إثبات وجود الله عز وجل، ونفيهم لصفاته سبحانه[1].

كما أن ذمه لإحياء علوم الدين لم يكن خالصاً، وإنما كانت من قبيل التقييم فنجده يقول عنه: «وفيه أحاديث وآثار ضعيفة، بل موضوعة كثيرة. وفيه أشياء من أغاليط الصوفية وترهاتهم، وفيه مع ذلك من كلام المشايخ العارفين المستقيمين في أعمال القلوب الموافق للكتاب والسنة ما هو أكثر مما يُردّ منه، فلهذا اختلف فيه اجتهاد الناس وتنازعوا فيه»[2]، وقال عنه: «وكلامه في الإحياء غالبه جيد، لكن فيه مواد فاسدة: مادة فلسفية، ومادة كلامية، ومادة من ترهات الصوفية، ومادة من الأحاديث الموضوعة»[3].

فليست المسألة عداءً شخصياً أو حقداً نفسياً، كما هو ملاحظ في كثير ممن تكلموا عن ابن تيمية فأنكروا فضائله، وإنما بيان الحق في موضعه، والتحذير من مخالفة الكتاب والسنة بغض النظر عن الأشخاص.

كما أن ابن تيمية لم ينفرد بذكر أخطاء الصوفية والغزالي؛ فهذا ابن الجوزي انتقد أخطاء الصوفية في أغلب كتابه تلبيس إبليس[4]، كما عقد لذلك فصلاً كاملاً من كتابه صيد الخاطر[5].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٨/١٥٥- ١٥٦.

(٢) مجموع الفتاوى ١٠/٥٥٢.

(٣) مجموع الفتاوى ٦/٥٥.

(٤) تلبيس إبليس، أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ١٦٠- ٣٨٦، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة ١٣٦٨هـ.

(٥) صيد الخاطر، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ١٠٥- ١٠٧، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، دطت.

ونجد أبا بكر الطرطوشي[1] قال: «شحن أبو حامد «الإحياء» بالكذب على رسول الله ﷺ، فلا أعلم كتاباً على بسيط الأرض أكثر كذباً منه، ثم شبكه بمذاهب الفلاسفة، ومعاني رسائل إخوان الصفا»[2].

وكذا الإمام المازري[3] الذي ألف كتاباً سماه: «الكشف والإنباء عن كتاب الإحياء»[4].

والقاضي عياض أمر بإحراق الإحياء[5].

كما انتقده أبو الفرج بن الجوزي[6] وقال: «قد جمعت أغلاط الكتاب وسميته «إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء»[7].

وقال أيضاً: «جاء أبو حامد الغزالي فصنف لهم كتاب الإحياء على طريقة القوم، وملأه بالأحاديث الباطلة وهو لا يعلم بطلانها، وتكلم في علم المكاشفة

---

(١) محمد بن الوليد الطرطوشي الأندلسي ٤٥١- ٥٢٠ شيخ المالكية، كان إماماً زاهداً ديناً متواضعاً. (انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ١٩/٤٩٠- ٤٩٦).

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٩/٤٩٥.

(٣) محمد بن علي التميمي المازري ٤٥٣- ٥٣٦هـ محدث متكلم من فقهاء المالكية، شرح صحيح مسلم، وله كتب في الفقه، وكان بصيراً بالطب. (انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٠/١٠٤- ١٠٧).

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٩/٣٣٠.

(٥) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، نعمان خير الدين الألوسي ١١٩، دار الكتب العلمية بيروت، دط.

(٦) عبد الرحمن بن علي الجوزي البغدادي يرجع نسبه إلى أبي بكر الصديق، أحد أفراد العلماء في العلم والوعظ والفصاحة والبيان والتاريخ والتفسير والحديث صاحب التصانيف الكثيرة النافعة، يحضر مجالس وعظه الجموع الكثيرة والملوك والأمراء والوزراء، ووضع له القبول في الأرض توفي ببغداد سنة ٥٩٧هـ. (انظر البداية والنهاية لابن كثير ١٣/٢٨- ٣٠).

(٧) جلاء العينين ١٢٠، وقد أحال إليه في بيان مفاسد الصوفية والمخالفين للشرع في صيد الخاطر ١٣٨، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، دطت.

وخرج عن قانون الفقه»[1].

كما أنكر أبو عمرو بن الصلاح[2] على الغزالي الأحاديث الباطلة في الإحياء وغيرها[3].

والذهبي[4] مع مدحه للغزالي أشار إلى الأحاديث الباطلة في الإحياء، والفلسفة المخالفة للشريعة في كتبه[5].

وهذا السبكي[6] يفرد أكثر من ثلاثين صفحة في انتقاد إحياء علوم الدين بإيراد مئات الأحاديث في الإحياء ليس لها أسانيد[7].

أما ابن عربي[8] وابن الفارض[9] فهما ليسا من علماء الإسلام، فضلاً أن يكونا حجة في الإسلام؛ بل هما في أحسن أحوالهما منحرفين مفسدين للعقيدة الإسلامية، فإن من يقرأ كتب ابن عربي يجد الانحرافات الكثيرة المكفرة، وكيف

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي ١٦٦.

(٢) عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري(٥٥٧- ٦٤٣ هـ) أحد أئمة التفسير والحديث والفقه والرجال درّس بالقدس ودمشق قال الذهبي عنه: «كان ذا جلالة عجيبة، ووقار وهيبة، وفصاحة، وعلم نافع، وكان متين الديانة، سلفي الجملة، صحيح النحلة..». (سير أعلام النبلاء ٢٣/١٤٠- ١٤٤).

(٣) سير أعلام النبلاء ٣٢٩.

(٤) محمد بن أحمد الذهبي ٦٧٣- ٧٤٨هـ مؤرخ الإسلام، وكان آية في نقد الرجال. (انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، الذيل الأول للحسني ٥/٣٤).

(٥) سير أعلام النبلاء ١٩/٣٣٩- ٣٤٠.

(٦) عبد الوهاب بن علي السبكي(٧٢٧- ٧٧١هـ). القاضي والمؤرخ المشهور الخبير بالرجال، ولد بالقاهرة وعاش بالشام، صاحب الكتاب المشهور «طبقات الشافعية الكبرى». (انظر الأعلام للزركلي ٤/١٨٤).

(٧) طبقات الشافعية، عبد الوهاب علي السبكي ٤/١٤٥- ١٨٢، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية دت.

(٨) محمد بن علي بن عربي الطائي الأندلسي (٥٦٠- ٦٣٨هـ) فيلسوف من أئمة المتكلمين القائلين بوحدة الوجود تزهد وعمل الخلوات وله التصانيف العديدة منها الفصوص قال الذهبي: «فإن لا كفر فيه، فما في الدنيا كفر». (سير أعلام النبلاء ٢٣/٤٨- ٤٩).

(٩) عمر بن علي بن مرشد حموي الأصل مصري المولد والوفاة فيلسوف شاعر متصوف عاشق قائل بوحدة الوجود له تائيته المشهورة (نظم السلوك) مات سنة ٦٣٢هـ. (انظر البداية والنهاية ١٣/١٤٣).

يكون متمسكاً بعقائد الإسلام، وهو يرى وحدة الوجود وتكافؤ الأديان كما جاء ذلك في الدائرة.

قال ابن كثير عن كتابه الفصوص المكية: «فيها ما يعقل وما لا يعقل وما ينكر وما لا ينكر وما يعرف وما لا يعرف»(١).

وقال أيضاً عن كتابه فصوص الحكم: «فيه أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح»(٢).

وقال الذهبي: «ومن أردأ تواليفه كتاب الفصوص فإن كان لا كفر فيه، فما في الدنيا كفر... وقد عظمه جماعة وتكلّفوا لما صدر منه ببعيد الاحتمالات»(٣).

وكذلك من يقرأ تائية ابن الفارض يجد التصريح الواضح بالاتحاد، ومما جاء فيها:

جلت في تجلّيها الوجود لناظري ... ففي كل مرئي أراها برؤيةِ
وأشهدت غيبي، إذ بدت فوجدتني ... هنالك إياها بجلوة خلوتي
ففي الصحو بعد المحو لم أكُ غيرها ... وذاتي بذاتي، إذ تحلّت، تجلّتِ
إلى كم أواخي الستر ها قد هتكتُه ... وحلّ أواخي الحجب في عقد بيعتي
فإن دُعيتْ كنتُ المجيب، وإن أكن ... مُنادىً أجابت من دعاني، ولبّتِ
ولولاي لم يوجد وجود، ولم يكن ... شهود ولم تعهد عهود بذمةِ
فلاحيَّ إلا من حياتي حياته ... وطوع مرادي كل نفس مريدةِ
كلانا مُصلٍّ: واحدٌ ساجدٌ إلى ... حقيقته بالجمع في كل سجدةِ

---

(١) البداية والنهاية ١٥٦/١٣.

(٢) البداية والنهاية ١٥٦/١٣.

(٣) سير أعلام النبلاء ٤٨/٢٣.

وما كان لـي صلّى سواي، ولم تكـن صـلاتي لغـيري في أداء كـل سـجدةِ
وتظهـر للعـشـاق في كـل مظهـر مـن اللبـس في أشـكـال بديـعةِ
ففـي مـرة لُبنَـى وأخـرى بثينـة وآونـة تدعـى بعـزة غـرتِ
ولـسـنَ سـواها ولا كُـنَّ غيرهـا ومـاإن لهـا في حسنها مـن شـريكةِ[1]

ففي البيت الأول يزعم أن الذات الإلهية تجلّت له فرآها في كل الوجود، وفي الثاني شهد الوجود الإلهي لم يجد للرب سوى وجوده «ابن الفارض»، وفي الثالث خشي أن يتوهم أحد أن ذلك الوجود وهم طارئ، أو سكرة، فنبه إلى أن ذلك كان في «الصحو» وهو عند الصوفية رجوع العارف إلى الإحساس بعد السكرة التي تختلط عليه فيها الأمور ويتداخل عنده الخالق والمخلوق، ويصدر منها الكفر، فنبه ابن الفارض أن ذلك حقيقة في الصحو، وهو بذلك هتك الستر والسر وهو عدم المغايرة بين الرب وخلقه - تعالى عما يقول علواً كبيراً - ، وفي جميع الأبيات الباقية يزيل الفرق بين العابد والمعبود، ويدَّعي أنه لولاه «ابن الفارض» لم يكن وجود، وأن كل حي لم يكن إلا به، وهذا هو الكفر الصريح، ثم لا يدع فرقاً بينه وبين الله فكلاهما ساجد إلى نفسه، ولفظة كلانا قد تقتضي اثنين فنجده يستدركها في البيت الذي يليه ليزال ذلك التوهم فلم يكن يصلي إلا إلى نفسه[2].

والحلوليون مع تصريحهم بما يدل عليه إلا أنهم ينفرون من لفظه، فنجد ابن الفارض مع ذلك ينفي الحلول بقوله:

---

(١) انظر ديوان ابن الفارض، عمر بن المرشد بن الفارض ٨٧- ٩٣، دار النجم، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

(٢) انظر شرح الأبيات في: هي هذ الصوفية، عبد الرحمن الوكيل ٢٥- ٣٠، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٨٤م.

ولـي مـن أتم الـروايتين إشـارة تنزه عن رأي الحلول عقيدتي[١]

وليس هذا تراجعاً ولكنه كما ذكر ابن تيمية عنهم: «وهم يفرون من لفظ «الحلول» لأنه يقتضي حالاً ومحلاً، ومن لفظ «الاتحاد» لأنه يقتضي شيئين اتحد أحدهما بالآخر، وعندهم الوجود واحد»[٢].

وقد انتقده ابن تيمية وغيره، فنجد ابن تيمية يمدح نظم القصيدة، ويذم ما فيها من الكفر حيث يقول: «وابن الفارض من متأخري الاتحادية صاحب القصيدة التائية المعروفة «بنظم السلوك» وقد نظم فيها الاتحاد نظماً رائق اللفظ، فهو أخبث من لحم خنزير في صينية ذهب. وما أحسن تسميتها بنظم الشكوك»[٣].

وكلام ابن تيمية في ابن عربي وابن الفارض واضح، وهو إنكاره عليهما مقولتهما في وحدة الوجود لمخالفتها صريح الكتاب والسنة، ومخالفتهما فيها أهل السنة قاطبة والأشاعرة والمعتزلة، بل حتى أهل الملل الأخرى[٤].

ولم يكن مراد ابن تيمية أمراً شخصياً؛ وإنما بيان الحق، لذا نجده يبين أصول مذاهبهم واختلاف طرقهم، مقسماً القائلين بالوحدة إلى أربعة أقسام مبيناً فيما يجتمعون عليه، وفيما يفترقون فيه، ومدى مخالفة كل منهم للإسلام بل حتى لليهود والنصارى[٥].

كما ينتقد ابن عربي في تفضيله خاتم الأولياء على الأنبياء[٦].

---

(١) ديوان ابن الفارض ٩٥.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٤٢/١١.

(٣) مجموع الفتاوى ٧٥/٤.

(٤) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٢٩٠/١، ٣٦٥/٣، مجموع الفتاوى ١٢٣/٢ - ١٢٤.

(٥) مجموع الفتاوى ٢٩٤/٢ - ٢٩٧.

(٦) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٩/١.

وهو مع هذا ينصفه عند الحديث عن مقالات الاتحاديين بقوله: «المقالة الأولى: مقالة ابن عربي صاحب فصوص الحكم: وهي مع كونها كفراً فهي أقربهم إلى الإسلام لما يوجد في كلامه من الكلام الجيد كثيراً، ولأنه لا يثبت على الاتحاد ثبات غيره، بل هو كثير الاضطراب فيه، وإنما هو قائم مع خياله الواسع الذي يتخيل فيه الحق تارة والباطل تارة أخرى، والله أعلم بما مات عليه، فإن مقالته مبنية على أصلين...»[(١)].

فلم يكن - رحمه الله - متسرعاً في الحكم، أو متكلماً بغير عمل، ولم يكن يقصد الأشخاص بقدر ما كان منتقداً انتقاد الخبير للعقائد التي يحملها أولئك الأشخاص.

وكان مع تقويمه للأخطاء من أحرص الناس على علماء الإسلام ورجاله؛ فضلاً أن يطعن في أحد منهم، وقد قال - رحمه الله - : «ليس لأحد أن يتبع زلات العلماء، كما ليس له أن يتكلم في أهل العلم والإيمان إلا بما هم به أهل؛ فإن الله تعالى عفا للمؤمنين عما أخطأوا...»[(٢)].

وكان يتحرى العدل في أحكامه، فها هو ذا يتحدث عن بعض المخالفين للسنة في مواضع كأبي ذر الهروي[(٣)] والباقلاني والقاضي أبي بكر بن العربي[(٤)] وأبي الوليد الباجي، فيقول: «ثم إنه ما من هؤلاء إلا من له في الإسلام مساع مشكورة، وحسنات مبرورة، وله في الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع،

(١) مجموعة الرسائل والمسائل، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ٤/ ٨، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٢) مجموع الفتاوى ٣٢/ ٢٣٩.

(٣) عبد الله بن أحمد الحافظ المكي، أبو ذر الهروي، سمع الكثير ورحل إلى الأقاليم وسكن مكة، ثم تزوج في العرب، وكان يحج كل سنة، أخذ مذهب مالك عن الباقلاني، ومنه أخذ المغاربة مذهب الأشعري، توفي سنة ٤٣٤هـ، (انظر: البداية والنهاية ١٢/ ٥٠).

(٤) محمد بن عبد الله المعروف بابن أبي بكر بن العربي المالكي، تولى القضاء بالأندلس وكان فقيها عالما، وزاهدا عابدا توفي سنة ٥٤٣هـ. (انظر: البداية والنهاية، ١٢/ ٢٢٨).

والانتصار لكثير من أهل السنة والدين ما لا يخفى على من عرف أحوالهم، وتكلم فيهم بعلم وصدق وعدل وإنصاف، لكن لَمَّا التبس عليهم هذا الأصل المأخوذ ابتداء عن المعتزلة، وهم فضلاء عقلاء احتاجوا إلى طرده والتزام لوازمه، فلزمهم بسبب ذلك من الأقوال ما أنكره المسلمون من أهل العلم والدين، وصار الناس بسبب ذلك: منهم من يعظمهم؛ لما لهم من المحاسن والفضائل، ومنهم من يذمهم؛ لما وقع في كلامهم من البدع والباطل، وخيار الأمور أوساطها.

وهذا ليس مخصوصاً بهؤلاء، بل مثل هذا وقع لطوائف من أهل العلم والدين.

ومن اتبع هواه فأخذ يشنع على من خالفه بما وقع فيه من خطأ ظنه صواباً بعد اجتهاده، وهو من البدع المخالفة للسنة، فإنه يلزمه نظير ذلك أو أعظم أو أصغر فيمن يعظمه هو وأصحابه، فقل من يسلم من ذلك من المتأخرين، لكثرة الاشتباه والاضطراب»[1].

* * *

(١) درء تعارض العقل والنقل ٢/١٠٢- ١٠٣.

فهرس المصادر والمراجع :

١- **القرآن الكريم**.

٢- **ابن تيمية وقضية التأويل**، محمد السيد الجلنيد، شركة عكاظ للنشر، جدة، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٣- **الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية**، عمر بن علي البزار، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ.

٤- **الأعلام**، قاموس وتراجم، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة ١٩٨٤م.

٥- **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.

٦- **الإمام محمد بن عبد الوهاب في التاريخ**، عبد الله بن سعد الرويشد، مكتبة عبيسى البابي الحلبي، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.

٧- **البداية والنهاية**، إسماعيل بن كثير الدمشقي، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٨- **تاريخ ابن الوردي**، عمر بن الوردي، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

٩- **تاريخ بغداد**، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، دطت.

١٠- **تذكرة الحفاظ**، محمد بن أحمد الذهبي، ومذيلة بثلاثة ذيول: الأول للمحاسني، والثاني لحظ الألحاظ للهاشمي المكي، والثالث للسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت دطت، موافقة لطبعة حيدر آباد.

١١- **تلبيس إبليس**، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، ١٣٦٨هـ.

١٢- **تهذيب التهذيب**، أحمد بن حجر العسقلاني، دار صادر، بيروت، طبعة حيدر أباد، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.

١٣- **جلاء العينين في محاكمة الأحمدين**، نعمان خير الدين الألوسي، دار الكتب العلمية، بيروت، دطت.

١٤- **الجواب الباهر في زوار المقابر**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ويليه الرد على الأخنائي واستحباب زيارة خير البرية، تحقيق سليمان عبد الرحمن الصنيع وعبد الرحمن يحيى المعلمي اليماني، المطبعة السلفية، الطبعة الأولى، د. ط.

١٥- **دائرة المعارف الإسلامية «الإصدار الأول»**، أعلام المستشرقين، أصدرها بالعربية أحمد الشنتناوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس، مراجعة محمد مهدي علام، دار الفكر، القاهرة ١٩٣٣م.

١٦- **دائرة المعارف الإسلامية «الإصدار الثاني»**، أعلام المستشرقين تحت رعاية الاتحاد الدولي للمجامع العلمية، أصدرها بالعربية أحمد الشنتناوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس، دار الشعب، القاهرة ١٩٦٩م.

١٧- **درء تعارض العقل والنقل**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

١٨- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، مصر، دطت.

١٩- **الذيل على طبقات الحنابلة**، عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد الحنبلي، ابن رجب، دار المعرفة، بيروت لبنان، دطت.

٢٠- **ذيول العبر في خبر من غبر**، الحافظ الذهبي، حققه وضبطه: أبو هاجر محمد السعيد ابن بسيوني زغلول، دار الكتب العليمة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٢١- **رحلة ابن بطوطة المُسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، محمد عبد الله الطنجي المشهور بابن بطوطة، دار الكتاب اللبناني، دطت.

٢٢- **الرد الوافر على من زعم أن ابن تيمية كافر**، محمد بن ناصر الدين الدمشقي الشافعي، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٢٣- **سنن ابن ماجه**، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر العربي، دطت.

٢٤- **سنن ابن ماجه**، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، شركة الطباعة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢٥- **سنن أبي داود**، سليمان بن الأشعث السجستاني، وبهامشه معالم السنن للخطابي، إعداد عزت الدعاس وعادل السيد، نشر دار الحديث، حمص، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

٢٦- **سنن الترمذي**، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٢٧- **سير أعلام النبلاء**، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٢٨- **شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة**، أبو القاسم هبة الله بن الحسين اللالكائي، تحقيق أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، دت.

٢٩- **الشهادة الزكية بثناء الأمة على ابن تيمية**، مرعي بن يوسف الكرمي، تحقيق نجم عبد الرحمن خلف، دار الفرقان عمان، ومؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

٣٠- **الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية**، أحمد بن حجر آل بوطامي، طبع ونشر الحكومة السعودية ١٣٩٥هـ.

٣١- **الصارم المنكي في الرد على ابن السبكي**، محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي المقدسي، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٣٢- **صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل البخاري، المكتبة الإسلامية، استانبول، موافقة لطبعة العامر ١٣١٥هـ.

٣٣- **صحيح سنن ابن ماجه**، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

٣٤- **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٣٥- **صيد الخاطر**، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، دطت.

٣٦- **طبقات الشافعية**، عبد الوهاب السبكي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، دت.

٣٧- **العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**، محمد بن أحمد بن عبد الهادي، مطبعة المدني، القاهرة، دطت.

٣٨- **العقيدة الواسطية**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مكتبات عكاظ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٣٩- **العقيدة والشريعة في الإسلام**، قولد زيهر، ترجمة وتعليق محمد يوسف موسى وآخرين، دار الكتاب الحديث بمصر، الطبعة الثانية، دت.

٤٠- **عنوان المجد في تاريخ نجد**، عثمان بن بشر النجدي ١/١١٣، طبع ونشر وزارة المعارف السعودية ١٣٩٤هـ.

٤١- **غاية الأماني في الرد على النبهاني**، أبو المعالي محمود شكري الألوسي، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ.

٤٢- **الفتاوى الكبرى**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دار المعرفة، بيروت، دطت.

٤٣- **الفتوى الحموية الكبرى**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المكتبة السلفية، القاهرة، الطبعة الرابعة ١٤٠١هـ.

٤٤- **الفرق بين الفرق**، عبد القاهر البغدادي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، دطت.

٤٥- **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

٤٦- **القواعد في الفقه الإسلامي**، عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت، دطت.

٤٧- **مجموع الفتاوى**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم، الرياض، دطت.

٤٨- **مجموعة الرسائل والمسائل**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٤٩- **محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى،** عليه مسعود الندوي، طبع ونشر جامعة الإمام ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٥٠- **المستشرقون**، نجيب عقيقي، دار المعارف، بيروت، الطبعة الرابعة دت.

٥١- **مسند الإمام أحمد**، أحمد بن حنبل الشيباني، دار الفكر العربي، دطت «موافقة لطبعة المعجم المفهرس».

٥٢- **مفتاح كنوز السنة**، أرند جان فنسنك، ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي، دطت.

٥٣- **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تصحيح هلموت ريتر، الطبعة الثالثة، دت.

٥٤- **مقدمة ابن خلدون**، عبد الرحمن بن خلدون المغربي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الخامسة دت.

٥٥- **الملل والنحل**، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٥٦- **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٥٧- **موسوعة المستشرقين**، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٩م.

٥٨- **موقف ابن تيمية من الأشاعرة**، عبد الرحمن بن صالح المحمود، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م «رسالة دكتوراه».

٥٩- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، دطت.

* * *

